مسلم

سفير الحسين عليه السلام

.....

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

المكتب الإعلامي
لسماحة آية الله الشيخ
قاسم الطائي (دام ظله الشريف)

الطبعة : الأولى
عدد النسخ :

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير البشر محمد وآله الغرر

وبعد..

هذه مجموعة من الإثارات والإستفسارات طرحت حول السفير الحسيني مسلم بن عقيل (عليه السلام) وقد كانت متسلسلة في عرضها منذ نشأته الأولى الى حين شهادته، وقد عرضتها وأحبت عليها بمجموعة من المحاضرات التي ألقيتها على طلبة الحوزة النجفية الشريفة عام١٤١٦هـ .

وقد تصدى لجمعها وتبويبها وتقريرها بإسلوب شيق يجمع بين الطرح الإستفساري، والسرد التاريخي، جناب الشيخ محمد الحلفي(دام عزه) فجاءت بهذه الصورة البهية جامعة بين العرض والإثارة والجواب والعبارة، ملمة بالعرض، مستوفية للطرح المذكور في الدرس، فجزاه الله خير الجزاء وأبان فضله، وشكر

سعيه، وهو يخط طريقاً صحيحاً في سيره الدراسي، حقق الله له ما يؤمله منه تعالى. وجعله من المخلصين لرسالة رب العالمين، أنه نعم المولى ونعم المجيب.

قاسم الطائي

النجف الأشرف

٢٤/ربيع الأول/١٤٣٠

المقام الاول

- مسلم سفير الحسين
- من هو مسلم بن عقيل؟
- شبهات ثلاث في التاريخ
- منزلة عقيل ومسلم

.....

مسلم سفير الحسين عليه السلام

بعد أن علم أهل الكوفة بامتناع الإمام الحسين الشهيد عليه السلام عن البيعة ليزيد، وانه عليه السلام قد صار إلى مكة، تقاطرت رسائلهم إليه بلا انقطاع، وقد أبدوا فيها استعدادهم لنصرته والقيام معه، ودعوه فيها إلى القدوم إليهم.

﴿ وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن الناس....﴾ [١] وكان هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي آخر الرسل القادمين عليه .

﴿ فقال الحسين عليه السلام لهما : خبّراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كُتب معكما إليّ ؟ فقالا : يا أمير المؤمنين [٢] ، أجتمع عليه شبث بن ربعي ، وحجّار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث ، ويزيد بن رويم ، وعروة بن قيس ، وعمرو بن الحجاج ، ومحمد بن عمير بن عطارد .

فعندها قام الحسين عليه السلام فتطّهر وصلى ركعتين بين الركن والمقام ، ثم أنفتل من صلاته وسأل ربّه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة ، ثم جمع الرسل ، فقال عليه السلام لهم : إني رأيت جدّي رسول الله ﴿صلى الله عليه واله ﴾ في منامي ، وقد أمرني بأمر وأنا ماض لأمره ، فعزم الله لي بالخير ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه إن شاء الله تعالى [٣].

---

(١) الإرشاد / ٢٠٤ .

(٢) لا يبعد أن يكون هذا التعبير من ابن اعثم الكوفي صاحب الفتوح أو من الناسخ ، لأن المأثور أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يرفضون أن يخاطبوا بهذا اللقب لاختصاص الإمام علي عليه السلام به ، ففي الأثر : ((دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقام أبو عبد الله عليه السلام قائماً وقال : مه ، أن هذا الاسم لا يصلح لأحد إلا لأمير المؤمنين ....)) مستدرك الوسائل ١٠/٤٠٠/ج٥- عن كتاب الإمام الحسين في مكة المكرمة ، ص٣٩-٤٠ .

(١) الفتوح / ٥ : ٣٤ .

.....

ثم كتب مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم
من الحسين بن عليّ ، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين :
أما بعد : ... وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل .....[١] .

من هو مسلم بن عقيل

هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي .
وأبوه هو أخ علي بن أبي طالب عليه السلام وجعفر ، لأبويهما من أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهو أكبرهما ، وكان أكبر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من علي عليه السلام بعشر سنين[٢] .
وأمه أم ولد تسمى"عليه" ، أصلها من النبط ومن أشرافهم[٣].

---

(١) الإرشاد / ٢٠٤ ، وتاريخ الطبري / ٣ : ٢٧٨ ، والأخبار الطوال / ٢٣١ .
(٢) التنبيه والإشراف /٢٥٩ ، مقاتل الطالبيين /٢٦ ، ذخائر العقبى /١٠٧ .
(٣) والنبط : إقليم في العراق كان لها ملكه في سالف الدهر ، وان ملوكهم النماردة منهم نمرود إبراهيم الخليل عليه السلام و"النمرد" سمة لملكهم ، التنبيه والإشراف /٣٤ .
وقيل : إنما سمّوا بذلك لاستنباطهم الأرضين والعيان ، وقيل : لانتسابهم إلى نبيط أخا فارس ، وهما ابنا باسور بن سام بن نوح / مروج الذهب .

شبهات في التاريخ

الشبهة الأولى : قد يقال عن انحراف عقيل بن أبي طالب في مصادر التاريخ المختلفة ؛ بلحوقه بأعداء الرسالة المحمدية التقليديين في الشام من بني أمية ، وتسوله على أبواب معاوية بن أبي سفيان ؟

وهذه المقولة مبينة على أن مجرد الذهاب إلى معاوية بن أبي سفيان هو انحراف عن خط أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ مع أن الذهاب لوحده غير كافٍ لإنتاج هذه النتيجة ، إلا إذا ثبت تبرأه من الإمام علي عليه السلام أو تخاذله عن نصره ، أو مناصرته لعدوه ، وشيئاً من هذا القبيل لم يحصل .

كما أن الشبهة تفترض مسؤولية الإمام علي عليه السلام على تصرف أخيه، مما يدفع كل الباحث إلى تفسير منطقي مبرر لذهابه إلى هناك.

ويمكن أن يكون بنحو الاحتمال الدافع لاستدلال صاحب الشبهة على عدة وجوه :

الوجه الأول : أن يكون بدافع الإطلاع على حقيقة الحال الأموية في بلاد الشام ؛ ليتعرف عن قرب وحس لحقيقة حالهم كون ذلك يدخل ضمن اهتماماته واختصاصه ؛ لأنه من النسابة المعروفين والمضطلعين على أنساب وأحوال العرب[1].

---

(١)- وقال الشيخ عبد الواحد المظفر : كانت توضع له طنفسه (سجاده) من حرير في مسجد رسول الله صلى الله عليه واله ، ويستند إلى سارية من سواري المسجد فيجتمع إليه طلاب هذه العلوم العربية ، فيحملون عنه علم النسب والشعر وأخبار الناس وأيامها .(سفير الحسين عليه السلام /٦).

.....

وهذا مبرر منطقي للذهاب إلى الشام ؛ ليضم إلى رصيده المعرفي معرفة أخرى بأحوال أهل الشام .

وربما يقصد من إطلاعه أن يؤثر إعلامياً على أهل الشام في حربهم مع علي عليه السلام ؛ بفضح أمرهم ونشر جهلهم وضحك معاوية عليهم .

الوجه الثاني : أنه أراد أن يجرب حظه في العيش مع أهل الشام، لما كان يسمع من أخبار عن بحبوحة عيش الناس وسعة أرزاقهم بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت للعيش في عاصمة الخلافة وهو ذو عيال كثيرة ، فلم يكن ذهابه الى معاوية والانطواء تحت بلاطه ليصح وصفه بما ذكر بل كان ذهاباً للبحث عن فرصة عيش هناك تسد حاجاته الضرورية وعياله .

وذهابه من هناك إلى البلاط الأموي ، إما بطلب من معاوية شخصياً ، وإما لجريان العادة بين وجهاء القوم وسادات العرب التزاور والتواصل لقضاء العادة بذلك ، وهي تفرض ذهاب من ليس في السلطة إلى من هو فيها لا العكس .

الوجه الثالث : أن يكون ذهابه إلى هناك ؛ من أجل فضح السلطان الأموي ، وبيان حسبه ومخازيه التي حاولت العائلة الأموية إخفاءها عن الناس ، كما ينقل التاريخ خبر فضحه لمن كان في حاشية معاوية ، كابن العاص وغيره وامتعاضهم من عقيل [1] ، حتى طيب

---

(١) – وبعد كلام طويل بين عقيل ومعاوية ... من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمر بن العاص ، فقال عقيل : هذا الذي أختصم فيه ستة نفر ، فغلب عليه جزّار قريش ! فمن الآخر ؟ قال : الضحاك بن قيس الفهرة ؟ قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس! فمن الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعري قال : هذا أبن السرّاقة .....

.....

معاوية خاطرهم باستفزاز عقيل للتعرض به ، مجيباً إياه : أتعرف حمامة ؟! والقصة معروفة [١] .

ولو كان عقيل ذاهباً طمعاً فيما عند معاوية لما صدرت منه كل هذه التعرضات لمعاوية أصلاً ونسباً ، ولأتخذ جانب المصانعة والملاينة والمداراة لمعاوية وسلوكه.

بل يمكن أن يقال أن الأمر بالعكس ، إنه ما كان ليذهب إلا لفضح معاوية والتفاخر بالأصل الهاشمي الأبيّ ، وبالشرف الرفيع الذي لا يعبأ بمن يواجه ولا يكترث بمن يخاطب ؛ من أجل بيان الحق والدفاع عن العدل ، فقد مثلت كلماته تكريساً للمنهج الرسالي ، اذ هي كلمة حق أمام سلطان جائر .

وقد يشكك في صحة هذا الأمر فانه لو كان صحيحاً لما تهاون معاوية للبطش به وإنزال أقسى العقاب عليه وليس هذا عن معاوية ببعيد.

ولكنه ليس بصحيح ؛ لأن معاوية لم يكن من الغباء الذي يدفعه لمثل هذه الأفعال ، وهو يريد أن يتاجر بمجيء عقيل للتشهير بالإمام علي عليه السلام والتقليل من أهميته حتى في نظر أقرب الناس إليه ، فيغض النظر على مضض ، ويغدق عليه العطاء ؛ كي ينال من خلاله من أبي تراب عليه السلام.

ولكن فطنة عقيل قد فوتت عليه الفرصة.

---

(١) ... فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلسائه ، علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سواءًا ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء ، فيذهب بذلك غضب جلسائه ، قال : يا أبا يزيد فما تقول فيّ ؟ قال : أتعرف حمامة ؟! قال : ومن حمامة يا أبا يزيد ؟! قال : قد أخبرتك ثم قام فمضى ، فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه ، فقال : من حمامة ؟ قال : ولي الأمان !! قال : نعم ، قال : حمامة جدتك أم أبي سفيان ، كانت بغيّاً في الجاهلية صاحبة راية ، قال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا – شرح نهج البلاغة ٢/١٢٤-١٢٥ ، الغارات ١ /٦٤-٦٥ ، الأمالي للطوسي : ٧٢٤-٧٢٥ ح: ١٥٢٤ ، بحار الأنوار ٢٢/ ١١٣ ، الدرجات الرفيعة : ١٦٠-١٦١ .

مع ان التنكيل بأعمى يأنفه العرف القائم آنذاك ولم يكن من المصلحة لمعاوية فعل ذلك على أنه لم يطلب من معاوية بقدر ما حاول معاوية إغراءه بالاموال الكثيرة للنيل من الامام عليه السلام بواسطته فلم يستطع ، ومثل عقيل تأبى نفسه وكرم أخلاقه وحسبه ونسبه ان يتسول على ابواب السلاطين ، ولكنه الحقد الذي يشجعهم للنيل من أخيه سيد الاوصياء عليه السلام.

الشبهة الثانية : مما ينقل في مصادر التاريخ [1] .

روى المدائني : قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجةٍ فاقضيها لك ؟ قال : نعم جارية عرضت عليّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً ، فأحب معاوية أن يمازحه ، فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى ، تجتزى بجارية قيمتها خمسون درهماً ؟ فقال : أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً ، إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف ، فضحك معاوية ، وقال : مازحناك يا أبا يزيد!!

وأمر بان تبعث له الجارية التي أولد منها مسلماً .

صحة الرواية المنقولة:

واعتقد عدم صحة هذه الرواية لعدة قرائن:-

القرينة الأولى : إن عقيلاً يكبر أخيه الإمام علي عليه السلام بعشرين سنة كما هو المنقول [2] ، وعليه ؛ فإن عمره حال المحادثة متجاوز الخمسة

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/ ٢٥٢-٢٥١ ، وبحار الأنوار ٤٢/ ١١٦-١١٧ .
(٢) قال صاحب الطبقات الكبرى ١/ ١٢١ ، والمعارف ٢٠٣ ، التنبيه والإشراف ٢٥٩ ، والاستيعاب ١/ ١٨٦ رقم ١٨٥٣ ، ومقاتل الطالبيين ٢٦ ، وذخائر العقبى ١٠٧ ، والبداية والنهاية ٨/ ٤٧ ،

والسبعين عاماً ، سواءً أكانت المحادثة في عهد إمارة معاوية خلال خلافة الامام عليه السلام أم بعدها ؛ لأن عمر الإمام عليه السلام يكون قد تجاوز منتصف الخمسينات من عمره الشريف ، فيكون عمر أخيه عقيل هو ما ذكر ، ومثل هذا العمر لا رغبة للرجل أو المرأة في الممارسة الجنسية على الأغلب ، مع استبعاد حصول الحمل في مثله ، ولا يخفى ذلك على عقيل.

القرينة الثانية : إن من كان مطلبه الرئيسي هو توفير لقمة العيش لعياله الكثيرين ، وتحمله المشاق الكثيرة من أجلها ، لا يجد في نفسه رغبة لشيءٍ آخر وإن كان هو من حاجات النفس كالاستمتاع بالجارية ، حتى يطلبها من معاوية .

اللهم إلا أن يقال أن عقيلاً كان بطلبه – لو ثبت – يُريد إثبات تلاعب بني أمية بمال المسلمين ، كما قال عليه السلام : ﴿اتخذوا مال الله دولاً﴾ وبذلك يكشف زيف أحقيته لخلافة المسلمين ، أو اعتلاء منبر الخلافة الراشدة ، والسير بسيرة الخليفتين ، كما طُلِبَ من أمير المؤمنين من قبل بعض أهل الشورى [١] .

القرينة الثالثة : أنه لا معنى لعرض الجارية وبهذا السعر على رجلٍ فقير معدم ومكفوف البصر مثل عقيل ، فإن أمراً كهذا لا يمكن تعقله فضلاً عن قبوله.

الشبهة الثالثة : روي ما نصه [٢] : ﴿ .... فلما أتت على مسلم

وأعلام الورى ١/ ٢٨٢ ، ومعجم رجال الحديث ١١/ ١٥٨ (... وكان – أي عقيل – أكبر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من علي عليه السلام بعشر سنين) .

(١) وهو عبد الرحمن ابن عوف،راجع كتاب المراجعات للسيدعبدالحسين شرف الدين الموسوي .

(٢) بحار الأنوار ٩/ ٧١١ .

.....

ثمانية عشر سنة ، وقد مات أبوه عقيل ، فقال لمعاوية : [١] إن لي أرضاً بمكان كذا في المدينة ، وإني أُعطيت فيها مائة ألف ، وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي ثمنها .

فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه ، فبلغ الحسين عليه السلام ذلك فكتب إلى معاوية :

أما بعد ، فانك قد اغتررت غلاماً من بني هاشم ، فابتعت منه أرضاً لا يملكها ، فاقبض من الغلام ما دفعته إليه ، واردد علينا أرضنا.

فبعث معاوية إلى مسلم ، فاخبره بذلك واقرأه كتاب الحسين عليه السلام وقال : أردد علينا ما لنا وخذ أرضك ، فإنك بعت ما لا تملك ، فقال مسلم : أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا ، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه ، وقال : يا بني ، هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمك.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام : قد رددت عليكم الأرض وسوغت مسلماً ما أخذ [٢]﴾.

وفيها مايلي:

أولاً : ان اقدام مسلم على بيع هذه الارض من دون مراجعة الامام الحسين للتالي :

الأول :- إن الرواية تقول بلسان﴿مسلم﴾ : ﴿إن لي أرضاً﴾ أي إنها مملوكة له خاصة ، فهو ﴿مسلط على ماله﴾ ، ولا يوجد مبرر شرعي لمراجعة الحسين عليه السلام ، إلا من باب الأدب والاسترشاد برأيه عليه السلام،

---

(١) وفي شرح نهج البلاغة ١١/ ٢٥١-٢٥٢ ، في مقدمة الكتاب : يا أمير المؤمنين ... ، ورواية أبن أبي الحديد لم تكن في الاستفتاءات التي أجاب عنها جناب المرجع " أدام الله له المؤمنين " .

(٢) وكذا في ختامها ، فقال الحسين عليه السلام أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً ، لم تكن في رواية السائل ، بل الرواية المنقولة هي ما أثبتت في هامش(١) .

.....

وأما أنه –أي عدم مراجعة الامام الحسين في بيعه الارض- مانع شرعي فلا .

الثاني : أنه لو صحت المراجعة فإنما تصح لو لم يكن مسلماً بالغاً، والرواية تذكر أنه ابن ثمانية عشر سنة ، والقرينة هو قول الإمام ﴿إنك اغتررت غلاماً من بني هاشم﴾ فلو لم يكن غلاماً لما كان هناك من غرر مبطل للبيع.

وفي الرواية تهافت واضح ، والجواب المتقدم مأخوذ من صدر الرواية المنقوله خاصة ، وألا لو ضم الذيل وهو قول الإمام الحسين عليه السلام لما صحت للتهافت الواضح بين كونه ابن ثمانية عشر سنة وكونه غلاماً على قول الإمام عليه السلام .

وكذا بين كونه مالكاً للأرض بقوله وبين قول إمامه عليه السلام : ﴿أرضاً لا يملكها﴾ وكلاهما غير محتمل.

على أنه لا شأن لمسلم بمعاوية ليفضله على الغير في بيع الأرض له ، والعلاقة بين الاثنين هذا التفضيل لمعاوية على غيره.

وثانياً : لوقبلنا صحة الرواية المنقولة فكيف يبطل الامام الحسين معاملة قد وقعت صحيحة بقبض واقباض بالغ رشيد وقدباع ما يملك؟فنقول ان بامكان الامام الحسين ابطال هذه المعاملة:

الامرالاول : بان يكون معاوية قد ساوم على البيع لمسلم أو مؤمن، والسوم كذلك مكروه ، ولا يقبل الحسين عليه السلام لمسلم أن يقع في الكراهة أو يوقع فيها غيره ، هذا على تقدير عدم إلتفات مسلم للحكم الشرعي وهو مستبعد من مثله .

.....

ولا يقبل قول القائل : ولا نقص على مسلم عليه السلام في ذلك الشيء بان لا يحيط بجل الأحكام الشرعية اذ العلم بالتعاليم من أجل :-

أولاً :ان مثل سنه المذكور في الرواية مهيئ بالتمام للاحاطة بالأحكام الشرعية تعليماً،وخصوصاً العامة البلوى مثل هذا الحكم ، وكم من أبناء العلماء والمراجع من هو دون هذا السن وهو يحيط بالأحكام علماً،فكيف بابن عقيل **(عليه الرحمة).**

وثانياً : انه لا يمكن ان يقدم على أمر لا يعلم حكمه،وإذا عجز أو جهل أمكنه الاستعلام من إمامه عليه السلام ، واغلب المتشرعة والمتورعين لا يقدمون على معاملة لم يعرفوا حكمها ، فكيف بشخص مثل مسلم، الأمر الذي يلزمنا بالاعتقاد بعلمه بالحكم الشرعي للمعاملة.

الامر الثاني: إن الإبطال للمعاملة كان بعنوان الإقالة ، فقبل معاوية ذلك ؛ لأنه لا يرى مصلحة في رفض طلب الحسين عليه السلام ، ولا يخسر شيئاً في رد الأرض بعد استرجاع الثمن ، والإقالة إنما تكون بعد وقوع المعاملة صحيحة .

الامر الثالث: إن الحسين عليه السلام قد أعمل ولايته الثابتة له في إبطال هذه المعاملة ؛ لأنه أولى بالمسلمين من أموالهم ، وقاعدة السلطنة الثابتة لمسلم أو غيره ، مخصصة أو محكومة بولاية المعصوم عليه السلام.

هذا كله على تقدير صحة الرواية وثبوتها ، ودون إثبات ذلك خرط القتاد .

.....

منزلة عقيل بن أبي طالب عليه السلام وابنه:

روي عن ابن عباس [١] ، قال علي عليه السلام لرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ : إنك لتحب عقيلاً ؟!

فقال صلى الله عليه وآله : إي والله ، إني لأحبه ، حباً له وحباً لحب أبي طالب ، وإن ولده المقتول في محبة ولدك ، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ...ثم بكى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾: حتى جرت دموعه على صدره ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ما تلقى عترتي من بعدي .

ويمكن لنا ان نستفيد من هذا الحديث الشريف بعض الاشارات التاليه :

منها- انه دفاع عن عقيل ﴿ عليه الرحمة ﴾ من قبل النبي ﴿صلى الله عليه وآله ﴾ لمعرفته بما ستؤول إليه الأمور من ناحية تقييم بعض المسلمين لعقيل نفسه .

ولم يكن دفاعه ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ عن علّة عاطفية ، ورابطة قربية بعقيل ، بقدر ما كانت علته ثباته على مذهب الحق وطريق الصدق والمتمثل بأخيه علي عليه السلام .

ومنها- إنه حب وإطراء لعلي عليه السلام من خلال أخيه وأبيه.

ومنها- إن محبة أهل البيت ﴿ عليهم السلام ﴾ مفروضة على نحو تتكرس بعمل وممارسة فعلية والتزام أخلاقي وشرعي ، من خلال تعليله ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ بقوله المقتول في محبة ولدك ، أي المحبة التي ترجمت إلى التضحية في سبيلها وحصول القتل من أجلها

---

(١) أمالي الصدوق القمي رحمه الله تعالى، ٨٨ مجلس ٢٧ الحديث ٣ وعنه في البحار ٢٢/ ٢٨٨.

.....

وليست المحبة المجردة كعاطفة يقوم الإنسان بافراغها وقت الحاجة والضيق .

وتكون نتيجة هذه المحبة المقتول بسببها ، هو هذا العطاء المستمر والدائم ، من دموع عيون المؤمنين وصلاة ملائكة الله المقربين ، وهي رحمة متواصلة إلى قيام الساعة .

ومنها- إن بكاء الرسول الكريم ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ إيذاناً بمشروعية البكاء وإقامة مجالس العزاء على أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ، لأن فعل المعصوم حجة كقوله ، وحيث يكون المعصوم هو شخص الرسول ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ فإن ذلك يقطع العذر على المعترضين من غير الموالين على إقامة مثل هذه الشعائر ، بدعوى عدم مشروعيتها وانها غير ثابتة إلا من طرق ﴿الشيعة﴾ وهم غير ملزمين بها وثبوتها من قبل الرسول الذي بالشهادة لرسالته ، بعد الشهادة بالوحدانية يتصف الفرد بكونه مسلما ، فلا عذر لهم بعد القول المذكور ، نعم لو شكك المعاند بهذا الخبر وإنه غير صادر، ليسقط الحجة المقامة بفعل الرسول ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ أمكنه ذلك .

ومنها- تتجلى لنا رحمة الرسول الكريم ورأفته بأمته على الرغم مما ستواجه به عترته الطاهرة من الظلم والاستبداد ، وكل أنواع السوء والإنكار ، لأنه لم يدع عليهم ، وكيف يدعوا وقد أرسل رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء : ١٠٧.

وإنما شكى إلى ربه ما ستلقى العترة من بعده ، وهذا قمة في الخلق والنبل ، وهو ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ أهل لذلك بشهادة القرآن ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة : ١٢٨ ، و ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم : ٤ .

ومنها- إن البيئة الطيبة لا تثمر إلا طيباً ، وحيث يكون مسلم بهذا القدر المشهود له من قبل سيد الكائنات ﴿ صلى الله عليه واله ﴾ ، فإن

.....

ما أنتج هذه الثمرة المباركة في عطائها وإطاعتها لله تعالى ورسوله والمعصومين يكون طيباً كذلك .

ومن هنا أكد ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ بحبه لعقيل بقوله : والله ، وإني ، واللام .... تأكيداً معززاً بالقسم ، ومثله ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ لا يحتاج إلى القسم ليُصدَّق ، ولكن لإزالة الشبهة عن أهل القلوب الحاقدة والقاسية ، من أن تحاول نبز عقيل وتوصيفه بالخروج والتمرد على أخيه أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن هذا الخبر على تقدير صحته – وهي غير مستبعدة – نستكشف عدم صحة ما أثير في الشبهة الأولى والثانية .

ويمكن سحب الكلام على أبي طالب ﴿ رحمه الله تعالى ﴾ بإقرار النبي ﴿صلى الله عليه وآله ﴾ وتأكيده لحب أبي طالب ، ومن الواضح أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله ﴾ لا يحب إلا من يحبه الله جل جلاله ومن يحبه الله فهو من الأخيار الأتقياء الصلحاء ، فإننا : أن نحب في الله ، ونكره في الله ...

.....

المقام الثاني

- رسالة الحسين (عليه السلام)
- الاخوة بين الحسين ومسلم
- وثاقة مسلم
- حدود الوكالة
- اسرار التوصية
- قيمة اجماع اهل الكوفة

.....

رسالة الحسين عليه السلام بالسفارة

" ... ثم كتب مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله [١] ، وكانا آخر الرسل :

﴿ من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.
أما بعد : فإن هانياً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم ، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلكم : إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى .
وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، فإن كتب إليَّ انه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم ، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله .
فلعمري ، ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذات الله ، والسلام..﴾ [٢].

---

(١) كان من وجوه الشيعة بالكوفة ، وذوي الشجاعة والعبادة فيهم ﴿ أبصار العين /٢١٧ ﴾ وورد اسمه في زيارة الناحية ﴿ السلام على سعيد بن عبد الله الحنفي ، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف : لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﴿ صلى الله عليه واله ﴾ فيك ، والله لو اعلم أني اقتل ثم أحيى ثم احرق ثم أُذرى وفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك ، حتى ألقى حمامي دونك ، وكيف لا افعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة ثم بعدها الكرامة التي لا انقضاءها ﴿ الإقبال ٣/ ٧٧ ﴾ .
(٢) أبصار العين /٢١٧ ، والإرشاد /٢٠٤ ، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٧٨ ، والأخبار الطول ٢٣١ .

.....

ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل ، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي[١] وعمارة بن عبد الله السلولي[٢] وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي[٣] ، وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك ... ﴾[٤].

---

(١) لا توجد لقيس بن سهر الصيداوي ترجمة وافية ، وأبرزت شخصيته كسفير لأهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام ، مما تعني الوجاهة المستبطنة بهذا التشريف الذي تكلل بحمل رسائل الحسين عليه السلام تارة ، وأخرى من مسلم بن عقيل .

ولكن بالأجمال : ﴿ هو قيس ابن مسهر ابن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الاسدي الصيداوي ، وصيدا بطن من أسد ﴾ ، وكان قيس رجلاً شريفاً في بني صيدا ، وشجاعاً ومخلصاً في محبة أهل البيت .﴿ إبصار العين في أنصار الحسين /١٠٤ بتصرف يسير ﴾ ، وقال الطبري ٣/ ٣٠٨ في معرض الكلام حين بلغه استشهاد قيس ﴿رضي الله عنه﴾ ﴿.... فترقرت عينا الحسين عليه السلام وقال : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ اللهم اجعل لنا ولهم الجنة منزلاً ، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك﴾.

(٢) قال النمازي ﴿ عمارة بن عبد الله السلولي : لم يذكروه ... ﴾ مستدركات علم الرجال ٢٠/٦ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن بن أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن رومان بن بكير الهمداني الأرجي ، وبنو أرحب بطن من همدان ، وكان عبد الرحمن وجهاً تابعياً شجاعاً مقداماً .

وكان يرتجز في يوم العاشر : ﴿ صبراً على الأسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنة ﴾ عن ابصار العين في انصار الحسين عليه السلام ١١٩ .

(٤) الإرشاد / ٤٤ .

الاخوة بين الحسين ومسلم

ومعنى الأخوة في المقام يكون بأحد اعتبارين :

الاعتبار الإيماني :

إن الأخوة الإيمانية هي الأخوة المطلوبة وإن رابطة الإيمان أقوى الروابط مطلقاً ، ولذا وصف سبحانه المؤمنين بـ﴿الأخوة﴾ بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠) ﴾ سورة الحجرات ، وان ايمان مسلم (عليه الرحمة) بمكان سامي جعله أخاً للحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه واله) وسيد شباب أهل الجنة.

الاعتبار النسبي :

لأن مسلماً هو ابن عم الإمام الحسين عليه السلام والعم قد يطلق علي الأب، فيقال للعم أب في اللغة المتعارفة قبل الإسلام ، وربما في زمانه.

وإذا صح إطلاقه على العم ؛ فإن مسلماً هو أخو الحسين عليه السلام والاستعمال متداول ومعروف ؛ بل يمكن أن نتوسع ونطلق لفظ الأخ على الصديق العزيز الوفي الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه ، ولا زالت بعض أعرافنا تطلق لفظ الأخ على الصديق أو الزميل من باب التوسع في الإطلاق .

وثاقة مسلـــم

ومعنى ثقتي أنه ثقة عندي ، وأنه من أهل بيتي ، وهذا المقدار من الكلام لا يعني انحصار الوثاقة في مسلم خاصة ، إنما هو ثقة من ثقاتي وهو من أهل بيتي وإثبات صفة الوثاقة لمسلم لا ينفيها عما عداه من أهل البيت الحسيني .

وبلغة أهل الأصول أن هذه الجملة وصفية وهي لا مفهوم لها ، كما هو محقق عندهم .

و﴿من﴾ في قول الامام الحسين "...وثقتي من اهل بيتي.."،لا ترشد إلى تفضيل مسلم بن عقيل في الوثاقة على ماعداه من اهل الحسين والبيوت العلوية؛ بل هي تفيد معنى النشوء وأنه ثقة من أهل يكون أفراده أهل بيتي .

وعلى هذا الذي قلناه فلا حاجة إلى الفصل بين التعبيرين ليتضح المعنى بعدم الاختصاص –أي اختصاص الوثاقة في مسلم دون غيره-، على أن القطع قائم عند الموالين لأهل البيت بان غيره أفضل منه ، كالإمام السجاد عليه السلام كقدر متيقن ، وهذا القطع رافع للظهور المستفاد من العبارة على تقدير استفادته.

بل ان هناك قرينة مقامية تخصص الوثاقة هذه بخصوص السفارة ، ومهمتها الصعبة ؛ فإن مسلماً قد يكون هو الاوفق حظاً والأنسب حالاً من غيره لهذه المهمة التي هي إما لا تليق بشأن آخرين غيره ، وإما أنهم غير مؤهلين بدنياً واجتماعياً لها .

وما يذكره بعض الخطباء :"ان الامام الحسين منع من ايكال مهمة السفارة النيابية عنه الى اهل الكوفة من اخيه العباس او ولده علي

.....
الاكبر لإدخارهما لنيل الشهادة معه في كربلاء وهو مقام أسمى وأعظم من السفارة الى الكوفة"غير صحيح؛بل العكس هو الصحيح على ما يبدوا لأن الوجود المبارك للحسين عليه السلام قد يشكل حافزاً زائداً على ما يختزنه الفرد من قيمة للتضحية والدفاع عن الحسين عليه السلام ، لا كاما لو لم يكن الحسين عليه السلام أمامه.

وما هو أسمى هو الدفاع عنه بعيداً عنه ، إذ على الأول-أي القتال مع وجوده المباركوقريبا منه- يقع الإنسان في الحراجة والخجل من الحسين عليه السلام ، فتدفعه مثل هذه الحالات للدفاع عنه وإن كانت بعيدة عن خلق من كان مع الحسين عليه السلام ، وما اقصده هو دفع ما جعله الخطباء أساساً لإبقاء العباس ، وعلي الأكبر (عليهما السلام) معه ، وإرساله مسلماً كسفير عنه لأهل الكوفة ، وقد قدمنا أجوبة مقنعة لأفضلية شهداء جيش المهدي فراجع .

ووقوف مسلم وحده يواجه الأعداء ، وكل أشكال الحرب النفسية والمادية يُرجح ميزانه من ناحية مادية .

وأما من ناحية معنوية فلا علم لنا بذلك ؛ بل نوكل علمه إلى أهل بيت العصمة ﴿ سلام الله عليهم أجمعين ﴾ ، والإمام الحسين عليه السلام أدرى بما يؤديه كل واحد منهم بما هو مناسب له ، مما تقتضيه الحكمة الإلهية ، وقد اقتضت إرسال مسلم وإبقاء العباس (عليهما السلام) .

.....

حدود الوكالة

والذي يظهر ان هذه الوكالة والسفارة عامة من حيث المضمون على الظاهر خاصة من حيث المرسل إليهم ، إذ هو رسول الحسين عليه السلام إلى خصوص أهل الكوفة المخاطبين بكلامه.

أسرار التوصية

واما سر التوصية في استعمال الامور التالية ،فهي على الترتيب كالتالي:-

الامر الاول:تقوى الله: لأنها تعزز قناعة الناس بالمتقي أكثر من غيره ، وانه يطلب الخير لهم لا لنفسه ، لا كغيره من أهل المصالح الدنيوية والمنافع الشخصية ، ممن ظاهره الإيمان الخالي عن التقوى ، أو الإسلام حسب .

ومثل هذا الأمر لا زال قائماً في سلوك المسلمين وتعاملاتهم مع بعضهم البعض للآخر ، فيزداد اطمئنان البعض بالآخر المتقي ، ويركن إليه أكثر من غيره .

الامر الثاني - كتمان امره : لأن الأمر المرسل فيه مسلماً خطيرٌ جداً ، وإن عيون السلطة وأجهزتها تتابع كل صغيرة وكبيرة تهدد سلطتهم ، وتُعرض ملكهم للزوال والانهيار .

.....

وأي أمر أخطر مما أُرسل فيه هذا العقيلي كي لا يحتاج إلى الكتمان، وفي كتمان الأمر قضاء الحاجة واستعجال إنجازها وهو أمر مجرب، ومشروع .

وفلسفته – اي كتمان امره- إن معرفة الآخرين لحاجة الشخص قد يعرقل إنجازها أو يضع العقبات أمامها ؛ لأن الدار –اي دار الدنيا- دار تزاحم وتنافس ، و الإنسان يريد استيعاب المزيد مما يعزز به غروره ويشبع غريزته ، والطبيعة البشرية بهواها تطلب المزيد دائماً فهي تريد كل شيء لنفسها بدون مزاحم ومنافس.

والامر الثالث-اللطف: وهي المداراة التي يحتاجها القائد في تعامله مع المقودين أو التابعين ؛ ليهيئ أنفسهم لقبول دعوته ويعزز قناعتهم بمنهجه ، وإلا لانفضوا من حوله .

واللطف من حُسن الخلق الذي يقرب للفرد تعاطف الآخرين معه، ويقوي إرادتهم في نصرته.

ولا يقال: أن هذه الأمور مما لا تخفى عن مسلم عليه السلام ، وإنها بالنسبة إليه من الواضحات التي لا تحتاج إلى توضيح .

قلت : أنها وان كانت كذلك بالنسبة إليه لكن إلزامه بها من قبل الإمام الحسين عليه السلام يشدد في التزامه بها إذ تصبح مؤكدة المطلوبية من الناحية الشرعية ومن الناحية الولائية باعتبارها تمثل أوامر ولائية للحسين عليه السلام على مسلم (عليه الرحمة) .

وأنها خطاب عام لكل من يتصدى لمهمة مثل مهمة مسلم ، فإنها قضية حقيقية لا خارجية ، المخاطب فيها مسلم وغيره ، غاية الأمر أنها وجهت له خاصة باعتباره المخاطب حال الخطاب لا باعتبار اختصاص الخطاب به وخروج غيره عنه .

.....

وعلى القائد أن يخطط حتى لسلوك وتصرف أفراده وإلا لانفتح المجال للاجتهاد الشخصي ، كما أن الاعتذار للآخرين الذين سيظنون بمسلم الظنون غير الصحيحة ، لأنهم لا يعرفون مسلماً على خط التقوى كما يعرفه الإمام عليه السلام فكان توجيه الخطاب إليه من باب سد باب نقدهم ، ودفاعاً عن مسلم إثباتاً .

وإذا كانت كذلك فهي مطلوبة لغير مسلم بكل تأكيد ، مطلوبة من جهة الحث عليها وإن كان مسلماً لا يحتاج للحث عليها ، بعد التنزل عن الوجه الأول .

على أنه بالإمكان أن يقال بأن مسلم محثوث عليها ، ولكن بالدرجة التي هي أعلى من الدرجة التي هو عليها ، وهو مطلب صحيح ترشد إليه بعض آيات الكتاب العزيز،كقوله تعالى "والذين اهتدوا وزدناهم هدى".

قيمة اجماع اهل الكوفة

وقد أمر الحسين عليه السلام مسلم أن يبعث إليه إذا اجتمع رأي ملئهم وذوي الحجى منهم ، أي انها ينبغي أن تمثل رأياً إجماعياً عاماً عندهم يشترك فيه أهل الوجاهة والشرف وأهل الحل والعقد ، وأنهم على الصورة التي رسمها لهم الرسل التي أرسلت للحسين عليه السلام ؛ لأن الأخبار بالواسطة الرسالية ليس كالأخبار بالمشاهدة من قبل رسوله مسلم عليه السلام .

كل ذلك لإلزامهم الحجة وزيادة الاستيثاق منهم ولا يكفي إلا إذا كانوا مجتمعين على ذلك .

ومايقال : أن مثل الحسين عليه السلام لا يحتاج إلى مثل هذا الاستيثاق والتأكد.

فهو مردود" بان هذا الاستيثاق والتاكد من اهل الكوفة مما لا بد منه بعد التاريخ المعروف لأهل الكوفة ، وما سطروه من تعاملهم مع أبيه وأخيه ﴿عليهما السلام﴾ ؛ فلكي لا تتكرر مأساة التخاذل والغدر ، كان لا بد من الاستيثاق من الأمر بإرسال مسلم إليهم – والأمر يؤخذ على ظاهره .

وبهذا تنقطع حجةالقوم الذين سيعلقون على قدوم الحسين عليه السلام الى الكوفة ، فيما لو اكتفى بما أرسل إليه من رسائل ووفود طلباً لقدومه ، بدعوى معرفته لنفوس أهل الكوفة من خلال سيرته مع أبيه وأخيه ﴿عليهم السلام ﴾ .

.....

ومن جهة اخرى فإن الحسين عليه السلام لو لم يفعل بإرساله مسلماً إليهم مكتفياً بمعرفته للقوم وما جبلت عليه نفوسهم من الغدر والخيانة ، لا أقل للملأ منهم ممن لهم السيطرة على النفوس والعقول بتأثير القوة أو المال أو السلطة ، وانه عليه السلام لم يُجب القوم لما أرادوا ؛ لتعرض أيضاً للنقد والتعريض بأنه قد فوت فرصة كبيرة عرضت له لإعادة الاسلام إلى موقعه الصحيح ، ويتم به تصحيح مسار الأمة واستعادة عافيتها ووعيها الذين فقدتهما في عهد معاوية السابق.

ولا يعذر بدعوى علمه بنوايا أهل الكوفة ؛ لأنه تعويل على الغيب في نظر المخالفين للحسين عليه السلام ، والتعويل على أمر غيبي غير مقبول من وجهة النظر العامة.

المقام الثالث

- سفير الحسين في طريقه الى الكوفة
- اهليته للسفارة
- الطريق الى الكوفة.. بين التطير والإقدام
- تأويل

.....

سفير الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة

فاقبل مسلم حتى أتى المدينة ، فصلى في مسجد رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله ﷺ ، وودع من أحب من أهله ، ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به ، فضلا الطريق وجارا [١] ، وأصابهم عطش شديد .

وقال الدليلان : هذا الطريق حتى تنتهي إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً[٢] ، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى الحسين عليه السلام وذلك بالمضيق من بطن الخُبيت [٣] .

ﷺ أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي ، فجارا عن الطريق وضلاّ ، واشتد علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، واقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت ، وقد تطيّرت من وجهي هذا ، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري ، والسلام ﷺ [٤] .

ويوجد احتمالان في ترك السفير الحسيني للدليلين اللذين كانا في معيته ،في سفره الى الكوفه

الاحتمال الاول: تركهما قبل موتهما،وهو جائز في ضوء التالي:

---

(١) وجارا : أي انحرفا عن الطريق .
(٢) في رواية الإرشاد : ومات الدليلان عطشاً ، ص٢٠٤ .
(٣) وفي رواية الإرشاد : بطن الخبت ، ص٢٠٤ .
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٨ ، والإرشاد ص٢٠٤ ، والأخبار الطوال ص٢٣٠ .

.....

أولاً : أن التكليف فرع القدرة ولم يكن باستطاعة مسلم أن ينقذهما لشدة ما أصابه من الجهد والتعب ؛ بسبب العطش، وإذا لم يكن مستطيعاً فلا تكليف .

ثانياً : لو سلمنا قدرته، على انقاذهما ، فإن هذه القدرة تتزاحم مع قدرته على إنقاذ نفسه بحيث لا تسع لإنقاذه وانقاذهما، ومن الواضح إن إنقاذ نفسه أهم من إنقاذ غيره، والأهم مقدم على المهم، والأهم هو وجوب حفظ نفسه .

إلا أن هذا الجواب غير تام ؛ لأن انقاذهما لا يحصل إلا بإنقاذ نفسه، ولا يتصور انقاذهما مع عدم إنقاذ نفسه ، فلم يدر الأمر بين التكليفين المتقدمين ، بل هو دائر بين إنقاذ نفسه وعدم انقاذها واياهما ؛ لعدم قدرته على انقاذهما مع ما فيه من الجهد ، وإنقاذ نفسه واجب ، وعدمها –اي عدم انقاذها- بالتسبيب إلى ذلك محرم .

ثالثاً : ما ذكره السيد الشهيد الأستاذ ﴿قده﴾ من أنهما رضيا بمغادرته ، فقد سقط حقهما في ذلك وفدياه بانفسهما [1].

وهو غير تام ؛ لأن انقاذهما واجب شرعي مع القدرة لا حق لهما ليسقط باسقاطهما ، ولو فرض كونه حقاً ، فهو غير قابل للإسقاط كما هو الحال في بعض الحقوق ، كحق الحضانة مثلاً .

نعم ، يتصور ذلك من الناحية العرفية ، باعتبار أن الرفقة حق لهما، بموجب الاتفاق المسبق ، ولهما إسقاط هذا الحق العرفي – حق الرفقة -.

---

(١) شذرات من فلسفة الحسين ، ص٢٥٦ .

.....

كما يمكن تصور كونه حقاً بالاعتبار الشرعي ، فإن رفقتهما ، له شرط لهما مجعول بموجب عقد اتخاذهما دليلين له ، ولهما حق إسقاط هذا الشرط .

إلا أن إسقاط هذا الحق – لو تم – لا علاقة له بوجوب انقاذهما مع القدرة ، فيبقى الجواب الأول تاماً دون الآخرَين.

وما ذكره ﴿ قده ﴾ كذلك من عدم استطاعته جلب الماء لهما ؛ لليقين إنه لو رجع إليهما لوجدهما قد ماتا ، فأيضاً غير تام .

إذ لا يقين بموتهما ليرفع عنه وجوب انقاذهما ، فاليقين بالموت مخروم لاحتمال حصولهما على ماء قليل من قبل آخرين يطرقون نفس الطريق ، لأن الدليلين يتبعون الطرق المتعارفة للسفر ذهاباً وإياباً ، واحتمال مجيء آخرين في لحظات اشتداد العطش وارد ، ومع ورود الاحتمال لا يبقى لليقين مجال .

واحتمال سقوط المطر، لأن الرواية لم تؤرخ خروجه عليه السلام في الصيف أو الشتاء ؛ بل حتى لو كان الخروج صيفاً فانه لا يدفع احتمال سقوط المطر .

واحتمال مقاومتهما للعطش المهلك ، وارد : لفرض كونهما دليلين وخبرة عملهما ترشد إلى تعرضهما لحالات مماثلة أكسبتهما تحملاً وجلداً في مواجهة حالات العطش ، وهو احتمال وارد .

الاحتمال الثاني: وهذا امريعني:انه قد ترك هذيوا الدليلين بلا غسل،او ما يقوم مقامه من تيمم وكذا الصلاة عليهما ودفنهما كمل هو مقرر في الشريعة.

وهذا التصرف –اي تركهما بلا مراسيم الدفن وما يلحق به – صحيح ولا اشكال عليه،وذلك بالنظر الى الجواب الاول فيما سبق وانه غير مكلف بدفنهما وتجهيزهما لعدم قدرته في ظروف كهذه وارضها القاحلة.

.....

كما أن قدرته وهو بهذا الحال الشديد والجهد العظيم ، غير مستوفية لإمكان تيممهما ودفنهما ، فالعذر الذي لمسلم شامل لكل فرد مختارا ام مضطرا على حد سواء، وإن كان الأخير أقل جهداً .

ولايقال:ان الدفن لأجل حجب ضرر الجسدين عن الناس ، وان جسدي الدليلين في تلك الظروف الصحراوية لا أضرار فيها على أحد؛ وسوف يسرع إليهما الجفاف تحت الشمس المحرقة أو تأكلهما الحيوانات ، فلا يكون أحد متضرراً . غير مفيد ؛ لأن الدفن ليس مناطه تحقق انتفاء الضرر لوحده من الرائحة ، بل انتفاؤه وأمن جسده من السباع ، على أن حصولهما معاً لا يرفع تكليف الدفن الكفائي ، ولذا لم يكتف بتحقق كلا الأمرين في سقوط الدفن لو تحققا عند وضع الميت في بناء أو تابوت وإن حصل الأمران.

الأمر الذي يعني أن الأمرين هما حكمة للحكم لا علّة له؛وألا لانتفى وجوب الدفن مع حصولهما ولا قائل بذلك،وتخلّف الحكمة لا يستلزم تخلّف الحكم أو انتفاؤه كما يراد ذلك من هذا الكلام .

فالصحيح في الجواب هو سقوط التكليف لعدم القدرة .

الطريق الى الكوفة . . بين التطير والاقدام

فكتب الامام الحسين الى مسلم بن عقيل عليهما الرحمة ردا على كتابه:-"اما بعد فقد خشيت الا يكون ما حملك على الكتابة الي في الاستعفاء من الوجهة التي وجهتك لها الا الجبن فامضي لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك"

وبعض اهل المقاتل يذكران الامام الحسين كتب الى مسلم قائلامامنا من يتطير –بدل من الجبن –

وقال مسلم رحمه الله لما قرأالكتاب "هذا ما لست اتخوفه على نفسي "فاقبل كما هو حتى مر بماء لطي ،فنزل بهم ثم ارتحل منه ،فاذا هو برجل يرمي الصيد ،فنظر اليه قد رمى ظبيا حين اشرف له فصرعه،فقال مسلم :"نقتل عدونا انشاء الله"

ما معنى التطير السفير الحسيني :

ومعنى قول مسلم :"وقد تطيرت" هوطلب الإعفاء بعد وقوع التطيّر منه - بغض النظر عن كونه لا إرادياً – هو نوع اعتراف منه وإقرار على نفسه ، بأنه وقع فيما لا ينبغي لمثله ، وهو يمثل سفارة الحسين عليه السلام .

ومثل هذا الوقوع يشعره ولو بشكل باطني بأنه لا يستحق هذه السفارة ، أو لا يكون مناسباً لها بعد ما حصل منه ما حصل ، وطلب الإعفاء لا يكون للهروب من المسؤولية ، بقدر ما يكون اعترافاً بأنه لا يمثل استحقاقها الواقعي بعد ما حصل منه التطيّر .

.....

فهو طلب إعفاء لا عن عدم قدرة ؛ بل عن عدم أهلية يعتقدها لنفسه، وان السفير الحسيني لا ينبغي أن يتطير ، وما دام قد تطيّر فهو ليس بمستوى هذه السفارة ، ومن ثم طلب العفو ، لا للهروب من المسؤولية بقدر ما هو اعتراف بوقوعه بما لم يكن ليقع فيه ، ومن الأفضل تكليف غيره ممن ليس فيه خصلة الوقوع في الطيره .

وان التعبير بـ (التطير) في كلامه من باب ضيق الخناق ، ولا يعني التشاؤم مطلقاً إذ لا يخفى على مسلم حكم التشاؤم وعدم جوازه ، وانما عبّر بالتطير للتعبير عن الحالة النفسية التي وجدها في نفسه في ذلك المكان مستشرفاً منه ما ستؤول اليه الامور ، وان مهمته سوف لن تكلّل بالنجاح ، وهذا الاستشراف للمستقبل هو الذي دعاه للتعبير عنه بالتطير ؛ لانه لم يجد لفظا أكثر منه مناسباً للتعبير عما حصل له من استشراف المستقبل وعاقبة الامور .

ومناسبة التعبير بالتطير لان طبيعة النفس بعد قطعها أو اطمئنانها بالنتيجة السيئة لا تتشوق للإمضاء قدما في الأمر ، وهو بهذا قد تشاؤم وان لم يكن كذلك واقعاً ، لأن التشاؤم عدم التفاؤل بالخير لأسباب غير واقعية ، فتكون أسباب وهمية أو تخيلية.

وعلى هذا يفسرطلب الإعفاء من إمامه الحسين عليه السلام بإرسال رسالة يلمح فيها الى أن مهمته العازم على إنجازها لن تحقق النجاح المطلوب، وكأنه بهذا الكلام تلميحاً لا تصريحاً قد نصح الإمام عليه السلام بعدم المضي الى حيث يُريد القوم .

ويؤيد هذا المعنى توصيف الامام عليه السلام له بـ(الجبن) ؛ بل ويؤيده كذلك كلام مسلم (عليه الرحمة) حينما قال : (هذا ما لست اتخوفه على نفسي).

أهليته للسفارة

وعلى ما قلناه ، فإن عدم الأهلية ليست هي عدم أهليته للسفارة مطلقاً ؛ بل هو العدم المضاف – أي سفارة الحسين عليه السلام - والتي تليق بمقام الحسين عليه السلام التي اعتقدها مسلم في نفسه بعد وقوعه في التطير.

ويؤيد هذا ، طلبه ببعث غيره بدلاً منه – هذا الغير يملك من المؤهلات القديرة والجديرة بسفارةٍ عن الامام الحسين عليه السلام ، وما هذا إلا تواضعاً من مسلم ، ونصحاً منه لامامه عليه السلام .

واقصد بالنصح إشارة منه الى الامام عليه السلام وهو غير ملزم بقبولها عليه السلام .. فكان أمره عليه السلام بالامضاء الى حيث وجهه .

وتوجيه النصح من مسلم الى امامه الحسين عليه السلام مما لا إشكال فيه من مثل شخص مخلص لإمامه كمسلم بن عقيل (عليه الرحمة والرضوان) .

لا يقال: إن وصفه بـ (الجبن) يخدش بأهليته للسفارة لانه لم يظهر في كلام الامام عليه السلام أنه يصفه بالجبن ، وإنما ظن أن طلب مسلم الاعفاء من مهمة السفارة كان الجبن سببه .

ولا زالت الاعراف المتداولة في المحاورات العرفية تستعمل تعبير (ها خفت) للاشارة الى أن ما حملك على الرجوع والتقهقر أو التوقف هل هو الخوف ؟ ولا دلالة في الرسالة على انه قال : أنت خائف.

.....

والقرينة في كلام الامام عليه السلام على ذلك هو قوله : (خشيت) الذي تدل على الظن الاقتضائي [١] وليس الفعلي .

مضافاً الى ان المهمة التي أرسل فيها مسلم خطيرة وعظيمة ، فيكون مظنة الوقوع في الجبن ، أي الجبن بمستوى هذه المهمة الخطيرة لا مطلق الجبن كما يتوهمه المستشكل .

وتوجيه الامام للّوم والعتب،فيما لو انحصر الامر بالجبن وحده،وأما اذا لم يكن منحصراً بالجبن لما كان عيباً ، ولذا علّق الامام خشيته على الانحصار بالجبن،فقال:(فقد خشيت الا يكون حملك على الكتب اليّ في الاستعفاء ومن الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن)،وقد اتضح فيما تقدم في الجواب وجه آخر لطلب الاستعفاء.

وقد تكون مصلحة الدين هي المقتضية للطلب كما اشار اليه السيد الشهيد (قدس سره الشريف) [٢].

وهنالك وجه آخر : هو تحفيز مسلم للمضي قدماً في طريقه واستحثاثه بمثل هذه الكلمات ، وبعض الاعراف الى الآن لا زالت على استعمال هذا الاسلوب [٣] .

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين لهاشم المرقال : (يا هاشم أخشى أن تكون أعوراً جباناً " فقال : والله يا أمير المؤمنين لألفن بين جماجم العرب لف رجل ينوي الآخرة ولا يريد الرجوع الى الدنيا)[٤].

---

(١) أي أن هذا الاستعفاء مقتضاه الظن بالجبن لا الجبن الفعلي ، وإلا لما كانت حاجة لكلمة (خشية)، وهذا ما أشار إليه السيد الأستاذ (قده) ، وهذا الهامش من كلام سماحة الشيخ (أدامه الله تعالى) وذكره السيد الصدر في الشذرات ص٢٦٠ .

(٢) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام ص٢٦٠ .

(٣) وهذا ما أشار إليه صاحب كتاب سفير الحسين – الشيخ المظفر / ٥٣ حيث قال : (وان مثل هذا ليصدر من الأعيان والكبراء لأجل إثارة الحماس وبث روح النشاط في أمرائهم ولتهيّج الشعور ألحفاظي وإشعال نار الحفيظة في صدورهم ليقدموا إقدام الناشط) .

(٤) سفير الحسين مسلم بن عقيل : ٥٣ .

.....

إذن ما يقال بوصفه بالجبن ليس بصحيح بعد عرض الوجوه المتقدمة ، فلا منافاة أصلاً لانتفاء موضوعه [١] .

وقول الإمام عليه السلام : (ما منا من يتطيّر) لا تنافي قوله السابق في كتاب السفارة حينما قال : (بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل البيت) ، فما نفاه في الأول (ما منا) هم بعض أهل البيت – المعصومون خاصة – فلا يكون شاملاً لمسلم بهذا الاعتبار ، وحصول التطيّر من مسلم قد لا يكون اختيارياً ، وهو غير مشمول بالعبارة الأولى ، ليُقال بالتنافي .

وإذا جعلت (ما موصولة) فلا بد من توسيع دائرة (منا) ليشمل المعصومين (عليهم السلام) وغيرهم ، ليحصل التطيّر من البعض منهم ، ممن هو غير معصوم لتصدق العبارة ، ومع هذا الفهم فإن حصول التطيّر اختيارياً كان أم قهرياً لا ينافي الوثاقة التي في ابسط معانيها التحرز عن الكذب ، والتحرز فعل اختياري لا ينافي حصول التطيّر من المتحرز مطلقاً .

وعلى كل تقدير فلا منافاة أصلاً .

---

(١) أي هو ليس بجبان حتى تنتفي أهليته بالسفارة .

.....

تأويل

وأما تأويل رؤيته لرجل رمى ظبياً فصرعه – فقال مسلم :(نقتل عدونا إن شاء الله) .

وهو أن الحصول على الصيد الجيد مثل الغزال والذي يُنتفع بلحمه وجلده ، وصيده خير للصائد وغيره ، فهو رمزٌ للحصول على التفاؤل لا التشاؤم .

ولو قلنا : بأن في قتل الظبي إشارة الى قتله ، فهو من التضحية التي يتفاءل بها الفرد ، لا انه تشاؤم كما فهم ، فكما أن قتل الصيد وذبحه فيه نفع للآخرين ، وكذا التضحية والقتل في سبيل الدين فان نفعه للآخرين واضح ، والاشتراك في النفع يجعله رمزاً للتفاؤل لا للتشاؤم ، وتحقق الخير للآخرين لا يتم إلا بالقتل والتضحية كما حصل في قتل الامام عليه السلام واهله واصحابه ، فكذا لا يتحقق نفع الا بصيد الظبي للانتفاع منه لحماً وجلداً .

فما ذكره السيد الشهيد (قده) لا يرد بعد إن أشعر الامام الحسين عليه السلام مسلماً بأنه سيرزق الشهادة .

المقام الرابع

- سفير الحسين في الكوفة
- السفير رائد لأهله
- اخذ البيعة من الكوفة
- حركة السلطة الأموية

.....

سفير الحسين في الكوفة

حينما كتب الإمام الحسين عليه السلام كتاب السفارة لمسلم بن عقيل (عليه الرحمة والرضوان) : (.. ودعا بمسلم بن عقيل فدفع اليه الكتاب ، وقال : إني موجهك الى اهل الكوفة ، وسيقضي الله من امرك ما يحب ويرضى ، وانا ارجوا ان اكون انا وانت في درجة الشهداء ، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة ، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها ، وادع الناس الى طاعتي ، فان رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل عليّ بالخبر حتى اعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى ، ثم عانقه الحسين عليه السلام وودعه وبكيا جميعاً)[١] .

فلما دخل الكوفة نزل ضيفاً في دار المختار بن ابي عبيدة الثقفي[٢].

وقال ابن كثير في تاريخه : (فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الاسدي)[٣] .

---

(١) الفتوح ٥/ ٣٦ ، ومقتل الخوارزمي ١/ ١٩٦ .

(٢) المختار بن أبي عبيدة الثقفي : ولد عام الهجرة ، وحضر مع أبيه بعض الحروب وهو ابن ثلاث عشر ، وهو الذي فتك بمعظم الذين اشتركوا في دم الإمام الحسين عليه السلام وزعمائهم أيام ولايته التي دامت ثمانية عشر شهراً ، وقتل على يد مصعب بن الزبير ، وعمره يناهز ٦٧ سنة ، ويكفي في حسن حال المختار إدخاله السرور في قلب أهل البيت (ع) بقتله قتلة الحسين عليه السلام ، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت (ع) يستحق بها الجزاء من قبلهم ،فهل يحتمل أن رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) يغضون النظر عن ذلك وهم معدن الكرم والإحسان ... وهذا محمد بن الحنفية بينما هو جالس في نفر من الشيعة ، وهو يعتب على المختار ، في تأخير قتله عمر بن سعد – فما تم كلامه ، إلا والرأسان عنده ، فخرّ ساجداً وبسط كفيه ، وقال : اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار ، واجزأه عن أهل بيت محمد خير الجزاء ، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب ....) . معجم رجال الحديث ، للمحقق الخوئي ١٨/ ١٠٠ .

(٣) مسلم بن عوسجة الاسدي : ويكنى ابا حجل الاسدي السعدي ، كان رجلاً شريفاً سرياً عابداً متنسكاً ، وكان صحابياً ممن رأى رسول الله (ص) ، وكان فارساً شجاعاً له ذكر في المغازي والفتوح الاسلامية ، قال أهل السير : انه ممن كاتب الحسين عليه السلام من الكوفة ووفى له ، وممن اخذ البيعة له

.....

بينما في رواية الشيخ المفيد (قده) :(...ثم اقبل مسلم حتى دخل الكوفة ،فنزل في دار المختار بن ابي عبيدة ،وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب ،وأقبلت الشيعة تختلف اليه ،فلما اجتمع اليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون ،وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً[١]...)[٢].

فكتب [٣] مسلم بن عقيل عليه السلام مع (عابس بن ابي شبيب الشاكري)[٤] : (أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله،

عند مجيء مسلم بن عقيل الى الكوفة، ولما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وسمع به مسلم بن عقيل خرج اليه ليحاربه ، فعقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد و ... .. فنهدوا اليه حتى، حبسوه في قصره ، ثم لما دارت رحى الاحداث على غير ما يتمناه انصار الحق وقبض على مسلم بن عقيل وهاني بن عروة اختفى مسلم بن عوسجة مدة ، ثم فرّ باهله الى الحسين عليه السلام فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه ، وقد قال للامام عليه السلام لما رخص انصاره ليلة العاشر بالانصراف عنه : أنحن نخليّ عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك !؟ أم والله لا ابرح حتى اكسر في صدرهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولا افارقك ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك ، بتصرف يسير عن ابصار العين في انصار الحسين عليه السلام ١٠٠ – ١٠١ ، وتاريخ الطبري ٣/ ٣١٥ ، الارشاد ٢ / ٩٢ ووردت الصلاة عليه في زيارة الناحية ، ثم (.... وكنت اول من شرى نفسه واول شهيد شهد الله وقضى نحبه ففزت ورب الكعبة شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك ، إذ مشى اليك وانت صريع ، فقال : رحمك الله يا مسلم بن عوسجة وقرأ عليه السلام : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، لعن الله المشتركين في قتلك : عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن خشكارة البجلي ومسلم بن عبد الله الضبابي .

(١) - وفي حديث الشعبي : أربعون ألفاً .

(٢) الطبري ٣/ ٢٧٩ .

(٣) قبل استشهاده بسبع وعشرين ليلة ، كما رواه الطبري ٣/ ٢٩٠ .

(٤) هو عابس بن ابي شبيب بن شكر أو شاكر بن ربيعة بن مالك بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد الهمداني الشاكري ،وبنو شاكر بطن من همدان ،وكان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً . وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء امير المؤمنين عليه السلام وفيهم قال عليه السلام يوم صفين : لو تمت عدتهم الفاً لعبد الله حق عبادته ، وكان من شجعان العرب وحماتهم ، وكانوا يلقبون (فتيان الصباح) . وروى ابو مخنف أيضاً ، قال : فتقدم عابس الى الحسين عليه السلام ... قسم عليه وقال : يا ابا عبد الله ، أما والله ما امسى على ظهر الارض قريب ولا بعيد أعز عليّ ولا أحب إليّ منك ،ولو قدرت على ان ادفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته) .وروى ابو مخنف عن الربيع بن تميم الهمداني ، انه قال :لما رأيت عابساً مقبلاً عرفته وكنت قد شاهدته في المغازي والحروب ، وكان اشجع الناس ، وضحت: ايها الناس : هذا أسد

.....

إن جمع [١] أهل الكوفة معك ، فاقبل حين يأتيك كتابي) [٢] وفي رواية ابن نما[٣] (.... وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً) .

الاسود هذا ابن ابي شبيب ، لا يخرجن اليه احد منكم ، فاخذ عابس ينادي ، ألا رجل ،ألا رجل؟! فلم يتقدم اليه أحد ، فنادى عمر بن سعد :ويلكم ارضخوه بالحجارة، فرميI I بالحجارة من كل جانب ، فلما القى درعه ومغفره خلفه ، ثم شد على الناس ، ثم انهم تعطفوا عليه من حواليه ، فقتلوه واحتزوا رأسه ، فرأيت رأسه في ايدي رجال ذوي عدة ، هذا يقول ، انا قتلته ، وهذا يقول : انا قتلته ، فأتوا عمر بن سعد ، فقال : لا تختصموا هذا لم يقتله إنسان (سنان) واحد كلكم قتله . تاريخ الطبري ٣/ ٣٢٩ ، وإبصار العين ١١٥ – ١١٧ .

(١) في رواية النمازي في مثير الأحزان ٣٢ (جميع) بدل (جمع) .

(٢) الطبري ٣/ ٢٩٠ .

(٣) مثير الأحزان / ٣٢ .

السفير رائدٌ لأهله

وقول مسلم (عليه الرحمة والرضوان) : (الرائد لا يكذب أهله) [١] : هو مثل يضرب لصدق الرسول عن أهله لطلب ما ، والا افسد امرهم وأمره معهم اذا أكذبهم ، وفي محل الكلام ؛ فمسلم هو الرائد عن أهله – أي الحسين عليه السلام وابناء عمومته الآخرين في قافلة الحسين عليه السلام - أرسل كسفير لطلب حقيقة أهل الكوفة وتقمص نواياهم ، وقيل : ارسال الرسالة الجوابية الى إمامه وكان اهل الكوفة على ما يرام ، فكان مسلم صادقاً مع الحسين عليه السلام ولم يكذبه الاخبار وحاشاه .

(١) الرائد لا يكذب أهله : هذا مثل مشهور ، ومعناه : ان من يرسل امام أهله ليخبرهم عن مربع يليق بهم ، لا يكذب عليهم بخبره ويغرّهم ، فإن المرَبَع لهم وله ، وان اهله آتون فناظرون اليه ، عن إبصار العين ١١٧ .

أخذ البيعة من الكوفيين

وأخذ البيعة له من اهل الكوفة لا يحتاج الى نص عليه [١] ، لأن أخذ البيعة منهم للحسين عليه السلام لا لمسلم ، والبيعة هي : إلزام عملي وإقرار فعلي لما انعقدت عليه القلوب التي بايعت ، وان شئت قلت : هي كاشف اجرائي عن ما انعقد عليه قلب المبايع من اعطاء الأمرة والولاية الى الغير .

واخذ البيعة إجراء مما لا بد منه ليترجم واقع اهل الكوفة وليطمئن مسلم على صدق نواياهم واستقامة التزامهم بما كاتبوا به الامام عليه السلام والمبايع هو اهل الكوفة ، أي انهم المبادرون اليها للتعبير عن التزامهم بما الزموا به انفسهم من الولاية للحسين عليه السلام عن طريق سفيره .

ويستفاد من كلمات الرسالة (وقد بايعني) هذا المعنى ، فلم يكن الأمر من مسلم اليهم والزامهم بالمبايعة ، حتى يرد أي إشكال.

ولو كان الآخذ للبيعة مسلماً بفعله هو ؛ لكان خروجاً عن دائرة السفارة ، واما اذا كان من فعلهم وبمبادرة منهم فلا إشكال ، بل إن الامام عليه السلام قد طلب منهم مبايعة سفيره ، بقوله : (فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ..) [٢] .

واخذ البيعة من اهل الكوفة ليس بمخالف للتقية ، بسبب ما قلناه سابقاً[٣] من مخالفة التقية من بعض أصحاب الرسائل والكتب ، وأضيف هنا في مورد أخذ البيعة ، بان البيعة الحاصلة بهذا المقدار

---

(١) مع وجوده في كتاب الإمام عليه السلام وستأتي الإشارة إليه في إجابة المرجع (حفظه الله تعالى) .
(٢) الفتوح ٢١/ ٣٥ ، ومقتل الخوارزمي ص١٩٦ .
(٣)

.....

سوف تشكل عاصماً اجتماعياً يصون المبايعين من التعرض للأخطار والسوء من الوالي ، لأن المسألة بهذا المستوى الجماعي العام مما يتحاشاه السلاطين بكل تأكيد ؛ بل يأخذون اسلوب المكر والحيلة مع الناس وباستخدام شتى الطرق ؛ لفك جمعهم ومتابعة بعضهم البعض الآخر ، واسلوب المواجهة في هكذا حال فاشل ، فلا بد من اسلوب الحيلة .

مع الأخذ بنظر الاعتبار ، بان الوالي لم يكن على مستوى الحسم المطلوب لمثل هكذا ظروف .

ولا يحتاج رسالة مسلم عليه السلام الى التريث ؛ حتى يختبر نفوس القوم، لأن هذا الاختبار يصح مع طلب مسلم للبيعة [١] ، فكيف وان البيعة كانت استجابة لطلب الامام الحسين عليه السلام فبادر أهل الكوفة طوعاً ، مع أن اخذ البيعة الجماعية وبهذا العدد من الخطورة القاضية يمنع التأجيل وتأخير حسمها ، والا لتسرب خبرها الى السلطات الحاكمة التي تملك كافة الوسائل والإمكانيات لمواجهة الامر قبل استفحاله .

وأما لو استفحل فانه ينفلت عن قبضتها ويخرج عن سيطرتها فكان التعجيل هو الاجراء المناسب ، وليس العكس ، وان شئت فسمه (المباغتة) وهي اسلوب ناجح في المواجهات حتى غير المسلحة .

واما إخراج النعمان فلم يكن من وظيفة مسلم ، ولم يكلف به بل ان من غير اللائق لاخلاقه ونبله ان يتصرف مع الوالي بهذا المنطق [٢] ، بل كان الامر متروكاً لأهل الكوفة ممن بايع وتعهد في الكتاب على إخراجه في رسالته للامام عليه السلام .

---

(١) وقد نفاه سماحة الفقيه (أدامه الله تعالى) فيما سبق .

(٢) بل ان مسلم لو فعل هذا ، لأكد ما في نفوس الناس يومئذٍ ، ان الصراع بين بني هاشم وبني أمية على استلام منصة الحكم والسلطان ، وهذا ما كان مسلم عليه السلام ملتفت إليه .

حركة السلطة الأموية في تعاملها مع السفير الحسيني

خرج إلينا النعمان بن بشير وصعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا الى الفتنة والفرقة ، فان فيهما يهلك الرجل وتسفك الدماء وتغصب الأموال .

ثم قال : إني لم اقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا اشاتمكم ولا اتحرش بكم ، ولا آخذ بالقرف [١] ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم ان ابديتم صفحتكم ليّ ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره ، لأضربنكم بالسيف ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناهر ، أما إني أرجوا ان يكون من يعرف الحق منكم اكثر ممن يؤديه الباطل .

قال : فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي [٢] فقال : انه لا يصلح ما ترى إلا الغشم ، ان هذا الذي انت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين!!

فقال : ان اكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليَّ من ان اكون من الأعزين في معصية الله .. ثم نزل) [٣] .

وخرج عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي ، وكتب الى يزيد بن معاوية : (اما بعد ، فان مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة ، فبايعته الشيعة

---

(١) أي التهمة .

(٢) وهو احد الذين شهدوا زوراً للإيقاع بالصحابي الجليل حجر بن عدي (رضي الله عنه) فراجع ذخيرة الدارين فيما يتعلق بمصائب الحسين وأصحابه ص٨١ – ٩٣ .

(٣) الإرشاد /٢٠٥ ، والطبري في تاريخه ٣/ ٤٦٥ .

.....

للحسين بن علي ، فان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوّك ،فان النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف !!).

فكان أول من كتب إليه ، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة[١] بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن ابي وقاص[٢] بمثل ذلك) .

---

(١) هو اخو الوليد بن عقبة بن ابي المعيط ، خرج هو واخوه الوليد من مكة الى المدينة يسألان رسول الله (صلى الله عليه واله) ان يرد عليهما أختهما أم كلثوم المهاجرة بعد الحديبية ، فأبى (صلى الله عليه واله).

وكان منزل عمارة مع اخيه الوليد برحبة الكوفة ، وكانت ابنته أم أيوب تحت المغيرة بن شعبة ، فلما مات تزوجها زياد بن ابيه ، وعمارة هو الذي سعى عند زياد على عمرو بن الحمق (رضي الله عنه) ، وكان حاضراً في القصر يوم مقتل مسلم ، وهو الذي سعى على المختار عند ابن زياد يوم خروج مسلم ، راجع : وقعة الطف : ١٠٢ .

(٢) هو عمر بن سعد بن ابي وقاص الزهري ، ولد في السنة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة (٢٣) للهجرة ، وهذا على رواية بن ابن عيينه في الفتح : قد جزم إمام المحدثين يحيى بن معين بهذا ، وأمه : على ما ذكره سيف في الردة : ان سعداً كانت عنده يُسرى بنت ابي الكتم من كنده في زمان الردة فولدت له عمر بن سعد فراجع الاصابة ٥/ ٢١٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٤- ٤٥ وفيه (الكيسم) بدل (الكتم) وكانت يُسرى بنت قيس مشهورة بالبغي (ذكره سعداً الاسكافي في تاريخه) .

وروي عن ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) انه قال : (كان قاتل يحيى بن زكريا عليه السلام ولد زنا ، وكان قاتل الحسين بن علي (عليهما السلام) ولد زنا ، ولم تحمر السماء إلا لهما) كشف الغمة ٢٢١ ، وعن محمد بن علي (عليهما السلام) : لما قال علي عليه السلام سلوني قبل ان تفقدوني ... فقام إليه رجل : اخبرني كم في لحيتي ورأسي من طاقة شعر ؟ فقال عليه السلام : والله لقد حدثني خليلي ، ان على كل طاقة شعر من رأسك ملك يلعنك ، وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك ، وان في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله (ص) . شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨٦ ، ففي رواية بن ابي الحديد : هو سنان بن انس النخعي ، وقيل ان السائل كان ذا الجوشن والد شمر الملعون ، وقيل : كان الاشعث بن قيس ، وفي رواية ابن بابويه ، عن الاصبغ بن نباتة : ان السائل كان سعد بن ابي وقاص الزهري وان ابنه الخبيث عمر كان يومئذٍ يدرج بين يديه ، وقيل انه تميم بن اسامه وابنه هو الحصين بن تميم (لعن الله قاتلي الحسين جميعاً) .

الحركة الأموية في الشام :

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد [١] ، ليس بين كتبهم إلا يومان.

دعا يزيد بن معاوية سرجون [٢] مولى معاوية .

فقال: ما رأيك ، فان حسيناً قد توجه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيء – وأقرأه كتبهم – فما ترى ، ومن استعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد فقال سرجون : أرأيت معاوية لو نشر لك أكنت تأخذ برأيه ؟!

فقال : نعم .

فأخرج سرجون عهد عبيد الله على الكوفة .. فقال : هذا رأي معاوية . وقد أمر بهذا الكتاب [٣] .

فدعا مسلم بن عمر الباهلي [٤] ، وكان عنده ، فبعثه إلى عبيد الله بعهده الى البصرة.

---

(١) يزيد بن معاوية : كانت أمه (ميسون بنت بجدل الكلبية) امكنت عبد ابيها من نفسها فحملت بيزيد ، واليه اشار النسابة البكري الكلبي بقوله :

فإن يكن الزمان أتى علينا لقتل الترك والمولى الوحيّ

فان قتل الدعي وعبد كلب بارض الطف أولاد النبي I

وقد كان صاحب طرب ، وجوار وكلاب وقرود وفهود ، ومنادمة على الشراب . وفي أيامه ظهر الغنا بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الشراب . فراجع نسبه واعماله في ذخيرة الدارين ، فصل : نسب يزيد بن معاوية ، ص١١٦ – ١١٧ – ١١٨.

(٢) سرجون : وهو سرجون بن منصور الرومي النصراني ، كان كاتب معاوية وصاحب سره ، ثم يزيداً بعد موت ابيه ، وكان نديمه في شرب الخمور .

(٣) الطبري ٣/ ٢٨٠ .

(٤) وهو قد كان مع زياد ابن ابيه في البصرة ، وجيهاً في قبيلة باهلة ، عريفاً عليها في ولاية زيادٍ سنة ٤٦ (الطبري ٥/ ٢٢٨) ثم سكن الشام فكان بصرياً شامياً .

ملاحظات .. وتأمل

(١) ماذا يعني عهد معاوية – أواخر أيامه – لعبيد الله على الكوفة!؟ .

هذا العهد من معاوية ، لا يعني علم معاوية بالغيب بقدر ما يكون من معرفة واقع الحال – حال المسلمين آنذاك – وخصوصاً حال الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) ، فهم كانوا يتركزون في الكوفة ثم البصرة ، ولسبب بسيط ، بان الاولى – أي الكوفة – كانت عاصمة الخلافة العلوية المباركة ، وانها تمثل العقبة أمام المشروع الأموي في أخذ البيعة ليزيد المخلع .

ومثل معاوية ودهائه لا يخفى عليه مثل هذا الأمر ، كما ان معرفته بابن زياد وهو مستنسخ ابيه الدعي ، كان هو الشخص المناسب لعلاج الموقف وإنهاء تمرد أهل الكوفة المحتمل .

على ان معرفة معاوية لعدم الوفاق بين يزيد وعبيد الله ، هو ما دفع معاوية لترتيب الأمر قبل وفاته .

ليضع يزيد على واقع الأمر ، ورغبته في تولية عبيد الله بن زياد المصرين (الكوفة والبصرة) كي لا يجد من نفسه بُداً الا الموافقة وانجاز الأمر تقديراً لحرمة ابيه عنده .

ويبقى احتمال التزوير بالعهد من قبل سرجون المسيحي وارداً ، لانجاز الاغراض التي يستهدفها من ذلك في قتل الذرية الطيبة لرسول الله (صلى الله عليه واله) كما حصل في طف كربلاء .

(٢) سرجون النصراني ووجه استشارته

ضمن الاحتمالات التالية :

.....

الأول : انه حاجب الخليفة – وهو من يستشار في القضايا المهمة والخطيرة – سواءً أكان عالماً بشؤون الدولة الاسلامية ام لم يكن ، لأن ذلك من وظيفته ، وهو بمنزلة المستشار (في اوقاتنا الحاضرة) ، كما انه قريب المشرب من يزيد فهو يستأنس برأيه ويرغب في سماعه .

الثاني : إن الاستشارة قد كانت في أحوال من يوليه لتدارك الأمر في الكوفة ، ومثل هكذا أمر الذي يتعلق ببعض الافراد سهل المؤونة ويسير المعرفة ، من خلال خبرة المسيحي باحوال الولاة والقادة في عهد معاوية .

الثالث : انه يمثل حضارة متقدمة على المسلمين من الناحية الحربية والقتالية، فهو من الدولة البيزنطية التي سبقت الاسلام بعدة قرون .

ومن المؤكد ان يمتلك شيئاً من خبرة قومه في الشؤون الحربية وسياسة الملك ، والا لم يتخذه معاوية حاجباً له ومربياً لولده .

كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد :

ثم دعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلي وكان عنده ، فبعثه الى عبيد الله بعهده الى البصرة ، وكتب إليه معه :

(اما بعد ، فانه كتب إليّ شيعتي ! من اهل الكوفة ، يخبرونني ان ابن عقيل بالكوفة ، يجمع الجموع لشق عصا المسلمين ، فسر حين

تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه ، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه ، والسلام) [١] .

فاقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله في البصرة ،فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد[٢].

من هو المستهدف :

هو الحسين عليه السلام ، مع ان الكتاب لم يصرح به في الكتاب ، بل ان المذكور هو مسلم بن عقيل ، ولم يذكر الحسين عليه السلام في كتابه ، لأن أمره متوقعاً لا يحتمل التخلف ، فينزل منزلة الأمر الواقع والحاصل ، وهو ليس كذلك ، فما ذكره الرومي هو ما ذكر وما كتبه يزيد باعتبار انه لم يحصل بعد ، أي السير من الحسين عليه السلام الى الكوفة .

والرومي أراد ان يزيد من مخاوف يزيد ليستعجل في طلب ابن زياد ولا يتماهل في استدعائه ، لأن الأمر لا يحتمل التأخير ، ومثل

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٠ – واما في كتاب (تسلية الجالس ٢/ ١٨٠) للموسوي الكركي بتفاوت، ونصها : (اما بعد ، فان الممدوح مسبوب يوماً ، والمسبوب ممدوح يوماً ، ولك ما لك ، وعليك ما عليك ، وقد انتميت ونُميت الى كل منصب ، كما قال الاول :

رفعت فجازت السحاب برفعة فما لك إلا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلي زمانك بالحسين من بين الازمان وابتلي بلدك دون البلدان ،وقد اخبرني شيعتي من اهل الكوفة ان مسلم بن عقيل في الكوفة ؛يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين وقد اجتمع اليه خلق كثير من شيعة ابي تراب ،فاذا أتاك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمره ،فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة في عملك فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز ، فاذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع واعلم انه لا عذر لك عندي دون ما امرتك ، فالعجل العجل ، الوحا الوحا ، والسلام .

وفي كتاب مقتل الامام الحسين عليه السلام - المخطوط – نقلاً عن كتاب ناسخ التواريخ ان يزيد في رسالة لابن زياد : (بلغني ان اهل الكوفة قد اجتمعوا على البيعة للحسين وقد كتبت إليك كتاباً ، فاعمل عليه ، فاني لا اجد سهماً ارمي به عدوي أجرأ منك ، فاذا قرأت كتابي هذا فارتحل من وقتك وساعتك ، وإياك والإبطاء والتواني ، واجتهد ولا تبق من نسل علي بن ابي طالب أحداً ، واطلب مسلم بن عقيل وابعث إليَّ برأسه) .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٠ .

.....
هذه المخاوف وما يثيره المنافقون عند سلاطين العصر كثيرة جداً ونتائجها وخيمة على الصعيد الانساني كما يحدثنا التاريخ .

وقد فلسف في لغة السياسة والقانون الدولي بـ (الضربة الاستباقية) وكان من مصاديقها حرب سنة ١٩٦٧ بين العرب مع الكيان الصهيوني [١] ... .

وقد عبر عن ابن عقيل بـ (كطلب الخرزة) وهو كناية عن الجدية في الطلب وعدم التساهل فيه ، أو كناية عن طلبه أولاً بدون مواجهة؛ لأن ابن زياد كان ضعيفاً في بداية أمره ومواجهة مسلم مجازفة غير مأمونة النتائج .

التخويلات المرددة : ووجه هذا الترديد بينها لوجوه :

الوجه الأول : لإدخال احتمال التبريء عن دم مسلم فيما لو اتهم يزيد بقتله ، فيدافع مبرراً عن نفسه : (أني لم أشر الى قتله جزماً).

الوجه الثاني : إطلاق يد زياد (عليه لعائن الله) في طريقة التعامل مع مسلم عليه السلام وعدم تقييد فعله بوجهٍ معين قد لا تسعفه الظروف والإمكانيات لإنجازه وانما ما تسعفه لإنجاز مهمة غيرها.

---

(١) وقد أفتى سماحة المرجع الى تحريم استخدام وإطلاق اسم (إسرائيل) على دولة اليهود في فلسطين المحتلة ، فراجع الملحق .

.....

الوجه الثالث : انه تضييق على مسلم عليه السلام لاختيار القتل ، إذ لا يناسب شرفه وموقعه التوثيق أو النفي ، لأن الأول مذلة له ، والثالث مستهجن ، وكلاهما لا يقبلهما ، ولا يريد انفسه الوقوع فيهما ، فينحصر الحال والاختيار في القتل وانه مما لا بد منه .

فالتعبير ، نوع حصار لطريقة التعامل مع السفير الحسيني ، وتخييره بين أمرين : (القتل ، أو الاعتقال والنفي) ، ومثل مسلم لا يختار إلا الأول ، وهو يعطي معنى مقولة الحسين عليه السلام : (ولقد خيرني بين السلة والذلة ، وهيهات منّا الذلة) .

.....

أضواء على التعبير :

أولاً : ولا يمكن قراءة (فتوثقه) بالتشديد [١] ، إذ لا يناسب مطلب يزيد ، ولا مهمة ابن زياد (عليهما اللعنة) .

ثانياً : مقولته (حتى تأتي أهل الكوفة) يمكن قراءتها أو التعبير و (حتى تأتي الكوفة) وكلاهما صحيح ، إلا أن الأول أصرح في كون المأتي هو الأهل لا المدينة ، إذ لا معنى لإتيان الكوفة كمنطقة بدون أهلها ، والقرينة على هذا قوله : (فتطلب ابن عقيل) بين أهل الكوفة فأطلبه .

حركة ابن زياد من البصرة إلى الكوفة :

وما أن قرأ ابن زياد [٢] الرسالة حتى أمر بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

---

(١) فتوثّقه : أي تأخذ منه المقالة الصادقة في ترك طلب البيعة للحسين عليه السلام وعدم شق عصا المسلمين في الخنوع لإمرة يزيد وحكومته

(٢) كان زياد بن ابيه قبل استلحاق معاوية إياه وادعائه انه اخوه من ابيه ، يرى نفسه من الموالين، لانه ولد على فراش عبيد الرومي ، وقيل (في نهج الحق وكشف الصدق ٣٠٧) هو ابو عبيد عبد بني علاج من ثقيف ، وهو ابن سمية وهي سوداء منتنة الريح وكانت عاهرة ذات علم تعرف به .

وعبيد الله ولد سنة ٢٠ للهجرة (الطبري ٣/ ٢٤٦) وقد فارق زياد أم عبيد الله (مرجانة) وهي مجوسية معروفة بالبغاء ، فارقها زياد وتزوج بها شيرويه الأساوري ، وهم قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، والأساوري جمع أساورة فارس ، أي فارس من فرسانهم المقاتل (لسان العرب ٤/ ٣٨٨) ودفع زياد إليها عبيد الله فنشأ في بيت شيروية الذي لم يكن مسلماً ، وتربى هذا الطفل في بيته ، حتى كانت فيه .لكنه لا يستطيع بسببها اداء بعض الحروف العربية كما هي ، فكان يقول للحروري : (هروري) فيضحك سامعوه (العقد الفريد ٢/ ٤٧٧) .وهلك ابوه زياد سنة ٥٣هـ ، فوفد ابنه على معاوية فولاه خراسان سنة ٥٤ للهجرة (الطبري ٣/ ٢٤٢ – ٢٤٦) ثم ولاه البصرة سنة ٥٥ للهجرة حتى مات معاوية ، وكان عبيد الله : قبيح السريرة ، فاسقاً ظالماً

.....

ولم يبق في البصرة بعدها إلا يوماً قتل فيه سليمان بن رزين (رضي الله عنه) رسول الحسين عليه السلام الى اشراف البصرة ، والقى فيه خطاباً على منبر البصرة ، وقال فيه:(... يا أهل البصرة ، ان أمير المؤمنين ولآني الكوفة ، وانا غادٍ اليها الغداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن ابي سفيان [١] ، وإياكم والخلاف والإرجاف .

فو الذي لا إله غيره لأن بلغني عن رجل منكم خلاف ، لأقتلنه وعريفه ووليه ، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق ، انا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطيء الحصا ولم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عمٍ) [٢] .

وتعجل ابن زياد المسير الى الكوفة مع مسلم بن عمرو والباهلي ، والمنذر بن الجارود ، وشريك الحارثي وعبد الله بن الحارث بن نوفل، في خمسمائة رجلٍ انتخبهم من اهل البصرة.

فجدَّ في السير ، وكان لا يلوي [٣] على احدٍ يسقط من اصحابه ، حتى ان شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق ، وسقط عبد الله بن الحارث رجاء أن يتأخر ابن زياد من اجلهم ، فلم يلتفت ابن زياد إليهم؛ مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام الى الكوفة .

ولما ورد القادسية سقط مولاه مهران ، فقال له ابن زياد : إن أمسكت على هذا الحال ، فتنظر القصر فلك مائة ألف ، قال : والله لا أستطيع فتركه عبيد الله ، ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر

غشوماً جباناً اذا ضعف ، هتاكاً اذا ظفر ، وكان الحسن البصري يسميه الشاب المترف الفاسق ، سير اعلام النبلاء ٣/ ٥٤٩ .

(١) عثمان بن زياد بن ابيه : اخو عبيد الله ، توفي شاباً وله ثلاث وثلاثون سنة ، وقد قال في محضر أخيه بعد مقتل الحسين عليه السلام : (... ولوددت والله انه ليس من بني زياد رجل إلا وفي انفه خزامة الى يوم القيامة وان حسيناً لم يُقتل) البداية والنهاية ٨/ ٢١٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٠ ، وتذكره الخواص ٢١٨ ، والأخبار الطوال ٢٣٢ .

(٣) - أي لا يلتفت .

.....

وحده ، وكلما مرّ بـ (المحارس) [١] ظنوا انه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول الله ، وهو ساكت ، فدخل الكوفة مما يلي النجف [٢].

مشاركة أهل البصرة في مقتل سفير الحسين عليه السلام :

البصرة قد شاركت في مقتل واجهاض حركة سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام ، ولكن شاركت اقتضاءً لا فعلية ، لأن الذين ساروا مع عبيد الله بن زياد من البصرة الى الكوفة ، قد سقطوا في الطريق ، وبعضهم حاول السقوط رجاء أن يتأخر ابن زياد لأجلهم فلم يفعل ، ومن المحتمل انهم لم يصلوا الى الكوفة للمشاركة في إجهاض حركة مسلم السفير عليه السلام ولكن من المؤكد انهم شاركوا في قتل الامام الحسين عليه السلام.

وإطلاق المشاركة لكل أهل البصرة مع مشاركة البعض لا يخلو من مبالغة ؛ وقد تكون لتداعيات حرب الجمل التي وقعت في البصرة والتي قاتل البعض فيها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اثراً في هذه المشاركة .

وعلى هذا ، فاختصاص الذم واللوم لأهل الكوفة خاصة ؛ لأنهم المشاركون فعلاً في إفشال مهمة مسلم وخذلانه ومن ثم قتله ، وفي قتل الحسين عليه السلام من بعد ذلك .

أو لأن الكوفة هي موقع الجريمة النكراء التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، فانتساب القتل إليها بهذه المناسبة هو الداعي لاستعمالها في كلمات المعصومين.

---

(١) - المحارس ، نقاط الحراسة والتفتيش .

(٢) مقتل الحسين للمقرم : ١٤٩ – دار الكتاب الإسلامي .

أو لأن البصرة شاركت مع الحسين عليه السلام ولكنها لم تدرك المشاركة فقد كتب أحد رؤوس الأخماس[١] (يزيد بن مسعود)[٢] الى الحسين عليه السلام جواباً عن رسالته الى رؤوساء الأخماس ، فقد تجهز للسير من الكوفة الى البصرة ، ولما وصله مقتل الحسين عليه السلام اشتد جزعاً ، وازداد أسفاً على فوات أُمنيته في الشهادة .

إذن من أهل البصرة من كان مع الحسين عليه السلام فلم تتمحض بالمشاركة هذه على ان ذماً قد شمل إهل البصرة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا يكفي ذماً لهم لأن من يذمهم هو الامام علي عليه السلام ، فهم مذمومون عند غيره من أهل البيت ؛ أو نقول : انهم كانوا يكتفون بذمه عن ذمهم .

مدلول السفر العنيف :

ومدلول السير العنيف ؛ الذي بسببه تساقط أصحاب ابن زياد من الاجهاد والتعب ، وبالتالي دخل ابن زياد للكوفة وحده بلا مصاحب ، هو لدخول الكوفة قبل وصول الامام الحسين عليه السلام إليها ؛ لأن في دخولها قبله ، إمكانية السيطرة على أوضاعها ، وإلزام أهلها سياسة عبيد الله الجديدة القائمة على ارغامهم بالبيعة ليزيد أو إلزامهم بها والدفاع عنها ، وإلا فان الموت مصير من يعاند .

ودخول عبيد الله بهذه السرعة بالرغم من تساقط أصحابه ، فانه يعبر عن الهمة العالية والإرادة الصلبة في انجاز أمر الطاغية يزيد ، وتفويت الفرصة على الحسين عليه السلام ،لان في دخول الامام الحسين اليها

---

(١) أخماس البصرة : كانت البصرة مقسمة الى خمسة أقسام ، ولكل خمس منها رئيس من الأشراف ، وأخماسها هي : (العالية – بكر بن وائل – تميم – عبد القيس – الأزد) .

(٢) هو ليس من رؤوساء الأخماس ، بل هو من أشرافها ووجهائها .

.....
قبل تفويت الفرصة عليه واحكام امرها في مبايعة الامام واخراجها من دائرة طاعة السلطة الاموية.

التنكر بالزي :

ولم يكن أمام ابن زياد إلا التنكر ؛ خوف أن يُعرف أو يعرف بعض أصحابه ، وان كان قد دخل المدينة – أي الكوفة – لوحده ، وهذا أسلوب المكرة والخداع ، لأنه يعرف أن المواجهة خاسرة وهو في تلك الحالة ، فكان لا بد من الزحف حول السلطة في ولاية الكوفة وترتيب أوضاعها من خلال السيطرة على رجالها وأموالها ومعداتها ؛ بل ووسائل إعلامها وشراء ذمم الضعفاء من أبنائها .

وظاهر الزيّ له مدلول علوي بقرينة استقبال الناس وهتافهم (أهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وآله)، حتى (المحارس) قد حيّته.

وهذه (المحارس) هي نقاط الحراسة التي كانت توضع على مداخل ومخارج المدينة ، و (بعبارة معاصرة) ، هي نقاط سيطرة للتفتيش ومعرفة الداخل والخارج ، وإفراز الغريب من القريب ، وهي إجراءات كانت موجودة ضمن إجراءات السلطة المالكة .

غايته أن مسلماً عليه السلام بعد إلتفاف الناس حوله وسيطرته على حركة الدور في المدينة في أبتداء أمره ، قد جعل الرجال – الحرّاس – ممن بايعوه واستقبلوه ممثلاً عن الإمام الحسين عليه السلام.

أو أن نفس من كان عليها هم ممن بايع مسلماً عند قدومه الكوفة فكانوا عيوناً له في هذه النقاط ، مع كونهم منصبين من قبل الوالي الأموي النعمان بن بشير .

سكوته في وسط الاحتفال الكوفي :

وسبب هذا السكوت لعدة وجوه :

الوجـه الأول : مـا ذكـره السيد الشـهيد الأسـتاذ [1] ، مـن أن سـبب سكوته هو (احتقـاره لهم ، لأن الحسـين عليه السلام لـم يكـن معروفـاً فـي ذلـك الحين لا بزيه ولا بوجهه ، ولا بصوته ، لأنه كان قد فارقهم منذ خمسـة عشـر سـنة) ، فكـان سكوت ابـن زيـاد للاحتقـار ، ولكـن يمكـن مناقشـته بالتالي :

الأول : أن خروج الامام الحسين عليه السلام كـان مـع أخيـه الامـام الحسـن عليه السلام حينمـا غـادر الكوفـة بعـد أن تـرك الخلافـة لقلّـة الناصـر وخـذلان المعين ، ولم يبق فيها إلا مدة خلافته البالغة ستة أشهر .

الثــانـي : إحتقـار عبيـد الله لأهـل الكوفـة إن كـان بـداعي الاحتقـار لأهلها ، لأنـهم على غير مـودة منـه ، مـن ابيـه ، فهـذا ينـافي تنكـره بـزي الامـام الحسين عليه السلام .

وإن كان احتقاره لهم بداعي أنه الحسين عليه السلام من أجل اسقاط محل الحسين عليه السلام من نفوسهم أ، إبعاداً لهم عن مودتـه ومحبتـه ، وهذا ينـافي مـا يعرفونـه من أخلاق الحسين عليه السلام.

---

(١) شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين عليه السلام ٢٨٢ .

الوجه الثاني : إن تنكره كان بسبب خوفه من أهل الكوفة ، اما بلحاظ معرفته لغدرهم ومكرهم وعدم استقرار حالهم في مودةٍ أو عداء، وهذا من خلال تجارب أبيه معهم .

وأما بلحاظ متابعتهم والتفافهم حول السفير الحسيني ، واستعدادهم للدفاع عنه في بداية أمره ، ويكون اختياره للزي الحسيني كي لا يثير فضولهم في السؤال عنه وعن مقصده لكونه ظاهراً أنه الحسين عليه السلام ، والسؤال منه مستقبح وغير لائق ، فكان التنكر لحماية نفسه .

عبيد الله وقصر الأمارة الكوفي :

وانتهى الى قصر الإمارة فلم يفتح النعمان باب القصر ، واشرف عليه من أعلى القصر ، قائلاً : ما أنا بمؤدٍ إليك أمانتي يا ابن رسول الله !! فقال له ابن زياد : افتح فقد طال ليلك !؟

فسمعها رجل وعرّفه للناس : (انه ابن زياد وربّ الكعبة)[١].

ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب في وجوه الناس وانفضوا [٢].

ولما نزل القصر نودي : الصلاة جامعة فاجتمع الناس ، فخرج ابن مرجانة ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : (اما بعد ، فإن امير المؤمنين أصلحه الله ولاّني مصركم وثغركم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ،وبالأحسان الى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا متبع أمره ومنفذ فيكم عهده ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف

---

(١) نقلها الشهيد الصدر في الشذرات ٢٨١ وفي الإرشاد ٢٠٦ وعنه بحار الأنوار ٤٤/ ٣٤٠ أن السامع له قد قال : (يا قوم ابن مرجانة والذي لا إله غيره) .

(٢) المصادر السابقة .

.....

عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، والصدق ينبيء عنك لا الوعيد) ثم نزل [١] .

ثم أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال : اكتبوا إليّ الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية [٢] وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق .

فمن كتب لنا برأ ، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغي علينا منهم باغٍ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره و ألغيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة [٣])[٤] .

التفرق الكوفي :

من خلال التجربة السابقة للمجتمع الكوفي مع ابيه الطاغية زياد ، الذي اشبع أهلها قتلاً وتنكيلاً وظلماً واضطهاداً ، وكان موته قبل سبع سنوات تقريباً من حادثة كربلاء حينما كان والياً على الكوفة ، وبالتالي فإن صورته البشعة لا تزال ماثلة أمامهم وفي اذهانهم ، و (الولد على سر أبيه) لأنه كان معه أيام ولايته على الكوفة ، فكان حينئذٍ مما لا بد منه في نظر أهل الكوفة من التفرق عن ناظريه .

وهذا الواقع التاريخي للرجل وابيه جعلهم يتشاءمون من قدومه ويحسبون لبطشه المحتمل فيمن يخالف سياسته او يخرج عن دائرة الطاعة الأموية .

---

(١) الطبري ٣/ ٢٨١ .
(٢) أي الخوارج : نسبة الى حروراء من نواحي الكوفة ، وهو أول موقع اجتمعوا فيه .
(٣) وهي المعروفة على ساحل الخليج وهي شديدة الحرّ ، معجم البلدان ٤/ ١٥٠ .
(٤) وقعة الطف ١١٠ .

.....

فهروبهم أو تفرقهم يدل على خوفهم منه وإعداداً لأنفسهم لما سيصدر منه من بلاءٍ ، وليس تفرقهم للتأهب للمنازلة ، وهذا أمر بعيد عن طبعهم إلا اذا آمنوا السلامة والفوز ، واما في ظرف الضغط والخوف .. فلا !!؟

كلمات :

الأولى – ما أنا بمؤدٍ إليك أمانتي : أي ما أنا بمُسَلِمٍ إليك إمارتي لأنها أمانة أؤتمنت عليها من قبل الخليفة .

الثانية – افتح فقد طال ليلك : جملة تطلق لطول الصبر والأناة على أمرٍ أو مثل يضرب لتخاذل المسؤول عن المسؤولية واتخاذه الليل سكناً.

أو كلمة يشار به الى ضعف الوالي لمناسبة ان الليل ضرف الهدوء والسكون الكاشف عن الضعف .

الثالثة – أيما عريف : أيمّا عارف [1] .

الرابعة – أحدٌ من بغية أمير المؤمنين: أي طلب أمير المؤمنين – ويقصد به يزيد الملعون – وطلبه هو مسلم عليه السلام .

---

(١) وكانت الدولة تعتمد على نظام العرفاء ، فكانوا يقومون بأمور القبائل ويوزعون عليهم العطاء، كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامة ، التي فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال ، وتسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة ، وحذف العطاء لمن يموت ، كما كانوا مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام ، وكانوا في أيام الحرب يندبون الناس للقتال ويحثونهم على الحرب ، ويخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال ، بتصرف يسير عن حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/ ٤٤٧.

.....

وهذا كلامه بالكناية لا التصريح ؛ ليكون الأمر شاملاً لكل من مال الى ابن عقيل وترك يزيد ، ولو سماه وصرح به لفهم أن كلامه مختصاً بمسلم عليه السلام ، مضافاً الى ان في كلامه ما يشبه التهديد والوعيد لأهل الكوفة حتى للذين لم يتفاعلوا مع مسلم ودعوته .

الخامسة ــ الصلب على باب الدار : والذي افهمه – أن فيه جانبان:
جانب الصلب وهو حي لزيادة التنكيل به واعتبار غيره به.
وجانب الصلب بعد الموت ؛ لإشاعة الخوف والرعب في نفوس غيره من باب ما يوجهه الصلب من رسالة (إرهاب وتخويف) الى الآخرين.
وكلا الأمرين ممكنان .

السادسة ــ قيل: (والمسؤولية الاخلاقية تجاه النعمان بن بشير هذا ، من حيث انه كفَّ عنهم شره ، فاللازم أن يكفوا عنه شرهم) وهذه العبارة صحيحة في حدود الالتزامات الاخلاقية ، وبعيداً عن حدودها الشرعية.
ووجه الصحة في حدود الالتزام الأخلاقي: فهو وفق مقياس عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملونك به ، وحيث أن النعمان بن بشير لم يتعامل مع مسلم وأصحابه بقسوة الوالي الجبار والمسؤول المتسلط الذي يجد من خلال سلطته أن له حقاً في استخدام القوة أمام المعارضين ومن يتربصون بالدولة والنظام الدائر ، وإن كان المعارضون على حق وفق موازين العدل والإنصاف لأن اعتلائه لمنصب في الدولة يقيّده في تصرفه باتجاه واحد ، وهو مصلحة واستقرار أمنها ، ومثَل ما يقوم به مسلم (عليه الرحمة) هو ضد

.....
مصالحها وأمنها والمفروض مواجهته بالقوة والبطش قبل أن يستفحل أمره ، وينفلت إمكان السيطرة عليه .

فكأن الوالي قد اسقط حقاً له في التصرف بعنفٍ مع مسلم وأنصاره، وبهذا المقدار يستحق التقدير ، ولو بمستوى الإمتناع عن محاربته ومحاولة تنحيته عن كرسي الولاية ، ومثل مسلم بأخلاقه أهل البيت (عليهم السلام) بما لا يخفى من الامتنان في المعاملة مع الرجل والابقاء على موقعه في الولاية ، بل بحفظ ماء وجهه ما دام لم يتقدم بخطوة في إعاقة مشروع السفير الحسيني .

وأما في الحدود الشرعية ، فالعبارة مقتصرة على جانبها الاخلاقي على ما هو الظاهر منها .

وهذا يتوقف على امور

(**الأول**): الإمكانية المتوفرة عند مسلم ومن تابعه على إنجاز هذا الأمر والسيطرة على الكوفة وطرد الوالي الأموي عنها ، ومن خلال سير الأحداث والمنقول التاريخي لم يكن الأمر بهذه السهولة ، ويحتاج الى إمكانية أكبر مما تهيأت لمسلم آنذاك ، واذا لم يكن قادراً لهذا فان التكليف قد سقط عنه بلحاظ دخوله في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واي منكر أعظم من تسلط يزيد على رقاب المسلمين ودولتهم المترامية الأطراف ، وهو النزق شارب الخمور قاتل النفس التي حرم الله قتلها ..

وهذا الكلام بغض النظر عن كونه مكلف من قبل الحسين عليه السلام بعدم البدء بالحرب أو استعمال القوة في السيطرة على الأمارة ، ومهمته استكشاف أهل الكوفة وأحوالهم ؛ ليكتب الى الحسين عليه السلام بذلك وقد فعل .

(**الثاني**): إن التكليف الشرعي انما يكون مُنجَزاً لو لم يزاحم بتكليف آخر بحيث لا يتمكن المكلف إلا من انجاز أحدهما ، وهو الأهم من الناحية الشرعية .

ومسلم بين (السيطرة بوسيلة الحرب) ؛ لتعذر السيطرة بدونها ، فسوف يفقد مسلم عليه السلام بعض اعوانه ممن التف حوله تأييداً لدعوته ولم يبق معه بعدها إلا قلة قد لا تسعفه من إتمام مهمته وإحكام قبضته على الكوفة ، وذلك لأن الكثيرين ممن بايعوه ، إنما يبايعوه وقت السلم والعافية وطمعاً في بداية حكم جديد ، يأمل فيه الواحد أن له موقعاً ، واما وقت الشدة والضيق فإن المعظم يتفرق عنه كما هو ديدنهم أبان حكم الإمام علي والامام الحسن (عليهما السلام) واحتمال تفرقهم شبه مؤكد ، بل أخبر به بعض من نصح الحسين عليه السلام بعدم الذهاب لمعرفته بحال أهل الكوفة .

وإن السلطة الأموية سوف لن تسكت وتستسلم للأمر بسهولة ، وهي تملك الكثير من العيون والجواسيس الذين يثيرون الأراجيف بين الناس ويمتصون بها همتهم في الدفاع عن مسلم ومهمته ، فتفشل المهمة ولو حقق الانتصار في السيطرة على قصر الأمارة ، وهذا أمر مجرب عندهم .

ولا أقل أنه سيكون محاصراً في داخل القصر منشغلاً في الاحتفاظ بهذا الإنجاز ، وكما انه سيفقد قيمته المعنوية واريحيته الهاشمية في الخروج على الظالم ونصفه المظلوم وان السعي الى السلطة ليس إلا اتخاذها وسيلة لتحقيق العدل ورفع الظلم ، وهي لا تكون بالقهر والغلبة ، وحينئذٍ سيتساوى ابن زياد ومسلم في طموحهم الشخصي في السيطرة والسلطة ، والناس آنذاك غير مهيأة نفسياً ولا معرفياً لتمييز الفرق بين الاتجاهين .

.....

وبين (ان يبقى مسلم بعيداً عن السلطة) ويلتقي بالناس لتأكيد مبايعتهم لإمامهم الحسين عليه السلام وقد كتبوا له بالقدوم إليهم ، وتفحص نواياهم ومعرفة ضمائرهم عن قرب ومعاشرتهم ليتمم المهمة التي أرسل من قبل الإمام الحسين عليه السلام .

وتحقيق الهدف بهذه الطريقة ممكن وأيسر للسفير الحسيني ، وأخف مؤونة وكلفة ، فهو من هذه الجهة أهم من التكليف الأول لأنه يحافظ على القيمة المعنوية والأخلاقية لأهل البيت (عليهم السلام) وان ما سيتحقق انجازه عبر هذا الطريق أهم واعظم مما سيتحقق عبر طريق القوة ، فيقدم عليه .

فهو – أي التكليف بالسيطرة الحربية – وإن كان مهماً من الناحية الظاهرية والسياسية ، ولكن التكليف الآخر أهم وأيسر في انجاز المهمة.

نعم ، **يبقى شيء** : وهو أن التعجيل في تنحية النعمان والسيطرة على دار الأمارة ، مما يسمونه الآن في العرف السياسي القائم (بالضربة الإستباقية) التي يتقي بها مسلم شر السلطة الأموية ويقطع عليها طريق مواجهته ، ومشروعيتها تظهر من خلال معالجات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لبعض محاولات التحرش بالدولة الإسلامية ومحاولة الإنقضاض عليها من خلال التحالفات مع صف أعداء الاسلام ودولته الفتية ، فقد ذكرت المصادر التاريخية عن السيرة النبوية المباركة [1]، ان نبأً قد وصل من بلاد الروم بإن ملكهم قد هيأ جيشاً كبيراً لغزو الجزيرة العربية ، وأعد العدة للقضاء على الرسول (صلى الله عليه وآله) ودينه الجديد ، فما كان من الرسول

---

(١) نيراجع سيرة المصطفى لهاشم معروف الحسني

العظيم (صلى الله عليه وآله) إلا أن أعد جيشاً عظيماً بمستوى مقابلة أكبر دولة يومذاك .

أي انه تحرك لاستباق الأمر وتهديدهم والتلويح باستعمال القوة، بل والاشراف على استخدامها لمجرد خطر يهدد دولته ، وقد سميت بغزوة تبوك .

ومثاله في العصر الراهن ، ما استخدمته الدولة العبرية ذريعة لتوجيه ضربتها الاستباقية ضد العرب في حرب ١٩٦٧.

ولكن لم يكن مسلم ممثلاً لدولة قائمة ليتخوف من محاولات الامارة ووالياها النعمان بن بشير ، ولم يكن له من كيان اجتماعي يتهدده خطر أصحاب السلطة ، وبهذا الفهم لم يمكن تطبيق هذا المبدأ تأسياً بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

نعم، لو قيل بان الاعتبار في استخدام هذا المبدأ هو الخطر المحتمل والمتوقع من دون ضرورة ، لأن يكون المخطور صاحب دولة أو كيان اجتماعي قائم على اعتبارات معترف بها ولو من الناحية العرفية، أمكن حينئذٍ تطبيق هذا المبدأ .

ومن خلال عدم تفاعل مسلم للسيطرة على دار الإمارة نستكشف انه لم يمكن استخدامه بدون الكيان الاجتماعي أو مؤسسة الدولة .

هذا كله بغض النظر عن إمكانية كون مسلم عليه السلام مكلفاً من قبل الحسين عليه السلام بالتصرف بعيداً عن إطار المواجهة مع السلطة أو التحريض ضدها ، قبل الاطمئنان من نوايا أهل الكوفة ، بل حتى من بعده .

تغيير مقر السفير :

ولما سمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله الى الكوفة ومقالته التي قالها وما أخذ به العرفاء والناس ، خرج من دار المختار حتى انتهى

.....

الى دار هاني بن عروة [١] ، فدخلها وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني على تستر واستخفاء من عبيد الله ، وتواصوا بالكتمان...) [٢] .

ووجه هذا الانتقال لسفير الحسين عليه السلام من مقره المعتاد في بيت المختار بن ابي عبيدة الثقفي (عليه الرحمة) الى بيت هاني بن عروة (عليه الرحمة والرضوان) ففي ضمن التالي :

فمن الناحية السياسية، فإن إنكشاف أمر مسلم وإذاعة خبره بين أهل الكوفة ، سيجعله مطمعاً وهدفاً لأبن زياد ، الذي كثف من وضع الرصد (العيون) على سفير الحسين عليه السلام ، وهو بالتأكيد يحتاج الى الكتمان والسرية في عمله وأصبح هذا الامر غير متوفر في حال تواجده بدار المختار .

ووصول ابن زياد واستيلائه على الامارة في الكوفة – دخوله القصر وتنحية النعمان – الذي كان المختار زوجاً لأبنته (عمرة)[٣]- وكان من رعايته للمختار زوج ابنته أن لا يتعرض لمسلم وانصاره وهو في دار المختار .

وهذا ما يكشف خبرة مسلم ومعرفته بالقبائل والعائلات ، وقد يكون ذهابه في ابتداء أمره واختياره دار المختار لذلك مع كونه من محبي أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد تبدل الحال بعد مجيء الطاغية ابن زياد فكان على مسلم الانتقال الى دار هاني لموجبات اجتماعية وعرفية ، وهي:

---

(١) هاني بن عروة المرادي : كان هاني من أشراف الكوفة وأعيان الشيعة ومن رؤسائهم ، وشيخ مراد ، ويركب في أربعة آلاف درع وثمانية آلاف رجل .

(٢) الإرشاد / ١٨٨ .

(٣) نقلاً من حياة الإمام الحسين للقرشي ، ج٢ / ٣٤٩ .

أولاً : كونه شيخ عشيرة مذحج الكثيرة العدد والعظيمة الشأن في نطاق الكوفة وهو مسموع الجانب من قبل أفرادها ، مطاع الكلمة ومن سادة الكوفة .

ثانياً: كان مهاب الجانب حيث ينقل المؤرخون أنه اذا ركب يركب معه أربعة آلف دارع وثمانية آلاف راجل ، فاذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع [١] .

ثالثاً : كانت ألطافه وأياديه البيضاء على أسرته دفعهم الى ان يكنون له اعمق الود والاخلاص ، ومثل هذا الواقع الاجتماعي يفرض على هانيءً التزامات اخلاقية وعرفية أن يحمي ضيفه ويدافع عن شرف ضيافته ولا يسلمه مهما كانت الظروف لأن في ذلك منقصة ومثلمة لا يحتملها هانيءً وأفعاله.

فكان انتقال مسلم إليه موفقاً من هذه الناحية .

وفي المقابل : لم يكن للمختار من القوة والمنعة الاجتماعية تحميه من بطش عبيد الله بن زياد ، بخلاف ابن عروة فكان له ركن شديد يأوي إليه وقوة تحميه ضيافته لمسلم بن عقيل ، فمن الأحجى أن ينتقل من الأول الى الثاني الذي ضعف موقفه بعزل أبي زوجته عن الأمارة .

هذا مع ان هذه الجهات العرفية كانت وما زالت محسوبة الجانب من قبل السلطات ، فهي على الدوام تحاول تلطيف العلاقة معها وتطويعها بخدمة مصالحها ، وان مواجهتها أو الوقوف ضد اتجاهها

---

(١) المصدر السابق.

ومصالحها لا يخدم مصلحة الدولة وخصوصاً في ابتداء أمرها وقرب تأسيسها ، وولاية الكوفة بالنسبة لابن زياد هي كذلك..
وهذه نقطة مشتركة سياسية واجتماعية وعرفية .

الاضطهاد وسيلة الحاكم الأموي :

(إن ابن زياد لما أطلّع على مكاتبة أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التوابين من أصحاب أمير المؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه،منهم (سليمان بن صرد وإبراهيم بن مالك الاشتر والمختار بن أبي عبيدة الثقفي و...)، وفيهم أبطال وشجعان ولم يكن لهم سبيل الى نصرة الحسين عليه السلام لأنهم كانوا مقيدين مغلولين وكانوا يوماً يُطعَمون ويوماً لا يُطعَمون)[١].

(ثم أن الحصين[٢] - حاجب شرطة ابن زياد – وضع الحرس على أفواه السكك وتتبع الأشراف الناهضين مع مسلم ، فقبض على عبد الأعلى بن زيد الكلبي[٣] وعمارة بن صلخب الأزدي[٤] فحبسهما

(١) جمعاً بين (تنقيح المقال ٢/ ٦٣) و (حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ٢/ ٤١٦).
(٢) الحصين بن نمير (ملعون خبيث من رؤساء جند ابن زياد وكان من أتباع معاوية) البحار ٣٨/ ١٩٣.
(٣) عبد الأعلى بن يزيد الكلبي : فارس شجاع من شيعة الكوفة بايع مسلم وكان يأخذ البيعة له وللحسين عليه السلام فلما قتل مسلم حبسه ابن زياد ، وأمر بقتله فقتل ، مستدركات علم الرجال الحديث ٤/ ٣٦٦ .
(٤) عمارة بن صلخب الأزدي : فارساً شجاعاً من الشيعة الذين بايعوا مسلماً وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام فلما تخاذل الناس عن مسلم أمر ابن زياد بقبضه وحبسه ، ثم بعد شهادة مسلم أمر بضرب عنقه فضرب (رضوان الله تعالى عليه) ، تنقيح المقال ٢/ ٣٢٣ .

.....

ثم قتلهما ، وحبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم ، وفيهم الأصبغ بن نباتة[١] والحارث الأعور الهمداني[٢])[٣].

خطة الفتك بعبيد الله ابن زياد :

وقال ابن الأثير : (ومرض هانيءً بن عروة ... ، فأتاه عبيد الله يعوده ، فقال له عمارة بن عبد السلولي : إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية ، وقد أمكنك الله فاقتله .

فقال له هانيءً : ما أحب أن يقتل في داري :

وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج ، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور [٤] ، وكان قد نزل على هانيءً وكان كريماً على ابن زياد وغيره من الأمراء وكان شديد التشيع ، وقد شهد صفين مع عمار ، فأرسل إليه عبيد الله : إني رائح إليك العشية ، فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدي العشية ، فإذا جلس أخرج إليه فاقتله ، ثم اقعد في القصر ، ليس أحد يحول بينك وبينه ، فان برئت من وجعي سرتُ الى البصرة حتى أكفيك أمرها .

---

(١) الأصبغ بن نباتة : من خواص أمير المؤمنين والحسنين (عليهم السلام) وهو الذي اعانه على غسل سلمان المحمدي ، وكان شيخاً ناسكاً إذا لقيَّ القوم لا يغمد سيفه وكان من ذخائر علي ، ممن قد بايعه على الموت وكان من فرسان العراق (مستدركات علم رجال الحديث ١/ ٦٩٢) بتصرف يسير .

(٢) الحارث : كان من أولياء أمير المؤمنين ، وعده علي عليه السلام من ثقاته العشرة . (مستدركات علم رجال الحديث ١/ ٦٩٢) .

(٣)

(٤) كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وكان من سكان البصرة وكان من رؤساء الأخماس على خمس العالية ، وشهد مع الإمام عليه السلام الجمل وصفين وكان قوي الإيمان صلب اليقين ، وعن المحدث القمي : انه مات قبل شهادة مسلم وهانيءً ودفن في الكوفة وصلى عليه ابن زياد (الطبري ٥/ ٣٦٤) .

.....

فلما كان من العشيّ أتاه عبيد الله ، فقام مسلم ليدخل : فقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس ، فقال هاني بن عروة : لا أحب أن يقتل في داري! فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكاً عن مرضه فأطال ، فلما رأى شريكاً أن مسلماً لا يخرج خشي أن يفوته فقال: ما تنظرون بسلمى لا تحيوها ، اسقونيها وإن كانت بها نفسي [١]!!

فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله: ما شأنه، ترونه يخلط!!؟ فقال له هانيء: نعم، ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه. فأنصرف.

فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل ، فقال له شريك: ما منعك من قتله!؟ فقال : خصلتان ، اما أحدهما فكراهية هانيء أن يقتل في منزله ، واما الاخرى فحديث حدّثه الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله): ان الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن.

فقال له هانيء : لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً .

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات[٢] فصلى عليه عبيد الله!)[٣].

تأمل .. في امتناع السفير الحسيني :

فما السبب الذي حدا بمسلم بن عقيل على أن لا يقتل عبيد الله بن زياد بعد أن أصبح كاللقمة السائغة بيده ، وهو يعلم أنه عدوه وعدو الحسين عليه السلام وعدو الله عز وجل ، وان قتله مهم جداً في إمكانية

---

(١) وقيل : أن شريكاً أنشد : ما الانتظار بسلمى أن تحيوها حيّوا سلمى وحيّوا من يحييها كأس المنية بالتعجيل فاسقوها ، (مقاتل الطالبيين ٦٥) .

(٢) ولما علم عبيد الله بالأمر الذي حيك ضده ، فقال : والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً ، ووالله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً (الطبري ٣/ ٢٨٢) .

(٣) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٩٠ ، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٨٢ بتفاوت يسير .

.....
السيطرة على المجتمع في الكوفة وتفريق القيادة عن المنافقين الذين جمعهم ابن زياد وبالتالي تركيزها بيد أهل الحق [١] .

والذي يجاب عنه هو عدة أمور منها :

الأمر الأول : ما ذكره السيد الأستاذ (قده) [٢] من كراهة هاني ء بن عروة أن يقتل عبيد الله في داره ، ومسلم كان ضيفاً في دار هانيء ولا يزال بخدمته بالسمع والبصر .

ويؤدي لمسلم أيّة مصلحة عامةً أو خاصة ، فاذا فعل هذا في داره حصلت عدة مضاعفات ، منها :

أولاً : الإحراج أمام هاني نفسه أخلاقياً ، ويقصد الاحراج الذي سيقع فيه لو فعل هذا .

ثانياً : تحريم تصرفه في الدار بعد ذلك لو كان قد فعل ما يكرهه.

ثالثاً : الإحراج لموقف هانيء من حصول هذا القتل في داره ، الأمر الذي سبب هذه الكراهة في نفسه .

---

(١) أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام ص١٩٣ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق .

.....

تعليقات .. ينبغي ملاحظتها :

ويمكن ان نسطر عدة تعليقات على ما افاده السيد الاستاذ -قده-

الأولى : ان الكراهة المتوقعة من هانيء لحصول القتل في داره قد تكون لأحتمال ان يكره هو وقوع مثل هذا الفعل الذي لا تقبله الاعراف الجارية آنذاك والتي لا زالت قائمة الى الآن ، فان المضيّف مسؤول عن الضيف نفسه ، وأي إساءة تقع له فالمؤاخذ فيها هو صاحب الدار وإن حصلت من غيره ، وليست الكراهة منه لقتل هذا الطاغية في داره ، ومن غير المعقول أن هانياً (عليه الرحمة) غير ملتفت الى مصلحة قتل هذا الطاغية ، فكيف وهو قد جازف بموقعه وجاهه الاجتماعي لمجرد قبول مسلماً عليه السلام ضيفاً عليه،وهو أمر لا يمكن إخفائه والحيلولة دون حصوله على الوالي بعد الخدمات الجليلة التي قدمها لضيفه في تسهيل مهمته الموكل فيها من الإمام الحسين عليه السلام.

الثانية : ما سبق قوله من ان قتل عبيد الله بن زياد فيه تداعيات اجتماعية وسياسية قد تعرقل المهمة المفوض فيها ، وتحصل مضاعفات لم تكن بالحسبان .

واذا لم تقع او كانت ليست بالأهمية الكبيرة ، فعدم فشله أولى من قتله للتزاحم الذي تمَّ بيانه ، واذا كان الأمر كذلك فالكراهة ليست سبباً منحصراً في منع فعل القتل .

الثالثة : ما ذكره من المضاعفة الثانية [١] ، وهي (تحريم تصرفه في الدار بعد ذلك ، لو كان قد فعل ما يكرهه صاحبها ، مما يضطره للانتقال الى دار شخص آخر ، وقد لا يجد شخصاً جامعاً للشرائط المتوفرة في هانيء ، أو قل : لا يجد له مثيلاً في سكان الكوفة).

فبعد وقوع فعل القتل منه ، ومعه لا حاجة له الى الانتقال الى دار أُخرى وشخص آخر بصفات هانيء ، فهذه المبررات لا ربط لها بمنع التحريم ، فإن فعل ما لا يرضاه صاحب الدار محرم ، وجدت هذه المبررات أو لم توجد .

الرابعة : الإحراج لهانيء أمام المجتمع الكوفي ليس أكبر وأهم من الاحراج الذي وقع فيه أمام السلطة الأموية عندما ضُيّفَ مسلماً في داره ، إذ من الواضح أن الاحراج أمام السلطة أكبر وأشد من الاحراج أمام المجتمع ، لخطورة الأخيرة واحتمال الإطاحة بحياته في قبال خطورة الأولى واحتمال الإطاحة بوجاهته ، والحفاظ على الحياة مع ذهاب الوجاهة أولى وأهم .

الخامسة : إن مجرد الكراهة ما لم تصل الى النهي لا تمنع من قتل عبيد الله بن زياد من قبل مسلم ، ومثل هانيء مع معرفته بشخص ابن زياد لا يصدر منه منع لمسلم لفعل القتل بهذا الطاغية.

---

(١) الأضواء للسيد الشهيد الصدر – قدس سره – ص١٩٣ .

بل يمكن أن يقال : أن مسلماً قد كره أن يفعل مثل ذلك في بيت مضّيفه ، وهو على إطلاع تام لعادات العرب وتقاليدهم ، ولا يمكن للضيف أن يفعل في دار مضيفه ما هو خارج حدود وآداب الضيافة ، وإلا لخرج عن آدابهم وعاداتهم ، وهذا الخروج عليها مستقبح ومستهجن فالكراهة من مسلم ، ومعه فلا يأتي كل ما ذكر من المضاعفات المعروضة وعليه فلا يصلح الجواب المذكور .

ولكن هذا المعنى خلاف ظاهر ما ذكر من كلامٍ لمسلم حينما قال ان سبب امتناعه عن قتل ابن زياد : (فكراهة هانيء أن يُقتل في داره).

الأمر الثاني: ما ذكره مسلم عليه السلام بانه سمع من الناس حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن).

وأجاب عنها السيد الشهيد[1] (قدس سره الطاهر) بأنها ضعيفة سنداً ودلالة .

أما السند: فلإرسال الرواية وانه سمعها من الناس ،لا أقل انه لم يوثق رواية الناقلين لهذا الحديث ، بقرينة التعبير بـ(الناس) .

وأما دلالة: فهذا الأمر الذي كان عازماً عليه هو الغيلة والاغتيال وليس الفتك ، فانه وإن كان يُراد باللغة هذا المعنى، إلا ان له معاني أخرى كالشجاعة بحيث لا يهاب أحد والاستقلال بالرأي فلا يتعين أن يكون المراد من الخبر ذلك .

---

(١) أضواء على ثور الحسين عليه السلام ، ص١٩٤ .

.....

وهو غير مُسَلمٍ لان مجرد إرادة معانٍ أخرى لا يستلزم عدم إرادة المعنى المراد وهو الغيلة بقرينة ان هذا لا يتأتي من المؤمن ، واما الشجاعة والاستقلال بالرأي فهما مطلوبان منه .

على انَا لا نسلم ارادة معانٍ أُخر من اللفظة (الفتك) لانحصار استعمالها أو غلبة استعمالها في معاني الغيلة والاغتيال ، وان استعمالها في الشجاعة او استقلال الرأي غير معهود ولا معروف .

فالصحيح: هو ضعف الخبر (سنداً) لا دلالة ، وهو كافٍ في منع العمل به .

وأضاف السيد الأستاذ (قدس سره الشريف) [1] : مضافاً الى ان الاعتماد على خبرٍ من هذا القبيل ، بل حتى لو كان صحيحاً في دفع مصلحة عامة في قتله ، أو جلب مفسدة عامة في حياته ، كما قد حصل فعلاً ، غير صحيح جزماً وغير مرضي لله عز وجل ، ما لم يعد الأمر الى وجوه أُخرى .

ويلاحظ عليه: ان صحة الخبر تكفي للعمل به والاستناد إليه ما لم يعارض بخبر آخر أو كان ضعيفاً ،ومجرد توقف مصلحة كبيرة على قتله ،أو جلب مفسدة عظيمة في حياته، لا يمنع من العمل به مع احتياجها الى القطع ، فلو احتمل ذلك بدون قطع بهذه الملاكات ، فلا .

نعم لو كان قد قال بمنع الصغرى على تقدير صحة الكبرى (صحة الخبر) ، ولكن مورد عمل مسلم لا يكون مورداً للخبر لكان وجهاً، وربما أراد الأستاذ الشهيد (قدس سره الشريف) ذلك في عباراته.

والوجه في ذلك : هو الشك في عنوان الغيلة والاغتيال لشخص عبيد الله ، لانه كان قاصداً من مجيئه وتوليه لإمارة الكوفة ، الفتك

---

(١) أضواء على ثورة الحسين عليه السلام ، ص١٩٥ .

.....

بمسلم ومن معه ، ومقابلته بمثل فعله لا يُعد فتكاً ؛بل ردا لفتكه واعتدائه لمعرفة مسلم انه لا يرد ولا يرتدع بغيره .

الأمر الثالث: ما ذكره الأستاذ (قدس سره)[١] وهو عين ما قلته بعبارة مغايرة ، وهو أن عدم الفتك بابن زياد استمراراً لبرنامج مسلم في اختبار أهل الكوفة ومنع العقبات أمامه ، وقتل هذا الدعي عقبة كبيرة قد تمنع استمراره في برنامجه الذي جاء من أجله .

ويبقى أن ما ذكره الأستاذ (قدس سره)[٢] بان عدم القتل يدخل في ضمن الأسس الاخلاقية الملتزم بها من قبل المسلمين ونصحت بها تعاليم الاسلام من عدم البدء بالحرب والضرب.

فكبراه صحيحة ، ولكن صغراه ليست كذلك ، لأن الباديء هنا هو عبيد الله وليس مسلماً (سلام الله عليه) ، ويكفي مجيء ابن زياد للكوفة لأجل هذا الأمر ، فالابتداء منه حاصلٍ وإن لم يكن فعلياً ، اذ لا معنى للفعلية حينئذٍ إلا أن يكون مسلماً مقتولاً وبالتالي ينسد السؤال والإشكال .

أو لأن[٣] ذلك صادق في الحرب الواقعة بين معسكرين ، معسكر أهل الحق ، ومعسكر غيرهم ، ولا حرب في الكوفة بين جيشين ؛ بل هي مواجهة بين شخصين للسيطرة على مقاليد الكوفة.

إلا ان هذا الطعن الأخير في الصغرى ليس بصحيح ، ومردود بما عُلِمَ من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام بعدم إرادة قتل قاتله المرادي (عليه لعائن الله) .

---

(١) أضواء على ثورة الحسين عليه السلام ، ص١٩٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص١٩٥ – ١٩٦ .
(٣) الطعن الثاني في صغراه .

.....

الأمر الرابع: ما ذكره أيضاً السيد الاستاذ (قدس سره الشريف): وهو اقتضاء الحكمة الإلهية بالابقاء على بعض الفاسقين والكافرين ، من اجل ميلاد بعض المؤمنين من ذراريهم ولو في جيل متأخر، فليكن ابن زياد كذلك ، وهذا لا يتوقف على علم مسلم بن عقيل أو التفاته ، بل أما أن يكون ملتفتاً وإما أن الله سبحانه صرفه عن قتله [١] .

وهذا غريب منه (قدس سره) لأن هذا لاقتضاء لو كان مانعاً لمنع قتل الكثيرين من الفسقة والملحدين الذين قتلوا في زمن الدعوة الاسلامية وما بعدها ، وتطبيق هذا المعنى في زمن الرسالة أولى من تطبيقه هنا، ولم يطبق هذا المعنى هناك، **وهذا من جهة.**

ومن جهة أخرى : لو كان ملتفتاً الى ذلك فعاد هذا الوجه الى سابقه وليس وجهاً مغايراً .

وان صرفه الله تعالى عن قتله ، خرج هذا الوجه عن كونه جواباً للسؤال لاننا نتكلم عن الفعل المقدور لمسلم ، واما مع صرفه من قبل الله تعالى فلا يكون مقدوراً عليه .

الأمر الخامس: أن مسلماً اراد ان يقتل ابن زياد من قبل من راسل الحسين عليه السلام ومن طلب منه القدوم الى الكوفة وبايعه من خلال مسلم عليه السلام ليختبر صدق نواياهم وما انطوت عليه نفوسهم ، ويتخلص من الاحراج الذي كان يقع فيه لو باشره بنفسه ، بل يعرقل مشروعه لو حصل منه وهذا ما تقدم بيانه .

---

(٢) المصدر السابق

.....

وبعبارة أخرى: ان قتل عبيد الله من نوع الواجب الكفائي الذي لا يتعين امتثاله من فرد إلا اذا انحصر فيه قدرة ، واما ما لم ينحصر فلا يتعين عليه .

ومحل السؤال من هذا القبيل ، إذ يمكن القول أن مسلماً غير قادر على قتله ، والآخرون قادرون فهم المكلفون فيه دونه ، وكان عليهم ان يترجموا بشكل عملي صدقهم ومدى اخلاصهم لما دعوه إليه ، ومن خلال التجارب السابقة التي حدثت مع الامام علي والحسن (عليهما السلام) مع أهل الكوفة لا يؤمن غدرهم وتخاذلهم اذا كان في الأمر شيء من الصعوبة والتعب ، أو يحتاج فيه الى التضحية ، ومعه يكون قبول دعواهم بدون اختبار عملي لهم ، ضرب من قلة التدبر ونقصان الحيلة ، ولا يتصف مسلم بها أكيداً .

الأمر السادس: ان مسلماً عليه السلام يمثل نفس الحسين عليه السلام مع حفظ الفارق بينهما ، وقيادته لا تخالف ولا تختلف عن قيادة إمامه الحسين عليه السلام ولا تخرج عن إطارها من حيث المنطلق والمنهج .

والمتتبع لسيرة الحسين عليه السلام وتعامله مع اصحابه الذي وصفهم على الصورة الحقيقية ، وان مظنة تحقيق مكاسب مادية أو منافع دنيوية أمور غير واردة بالمرة ، و أن مصيرنا هو الموت ، فمن كان موطناً نفسه على ذلك فليأت معنا .

وأراد الحسين عليه السلام ان تخلص نيات أصحابه في عملها لله تعالى، وهذا الإخلاص لا يتحقق إلا اذا توفرت ظروفه الموضوعية من قوة الجيش المقابل (عدة وعدداً) بل قسوةً وجبروتاً ، لتتوطن نفوسهم على الموت فيقبلون على ربهم برضا تام .

.....

وحيث يكون مسلم عليه السلام وجهاً للحسين عليه السلام أو نفساً له ، فلا يخرج بالتالي عن هذا الاتجاه الذي لا يتحقق الا ببقاء ابن مرجانة حياً لتصفوا نفوس أصحابه على صعوبة المهمة وتخلص نواياهم في الإقدام على التضحية .

وربما يكون بقاؤه تحقيقاً لهذا المعنى في نفوس من جاء مع الحسين عليه السلام إلا لخصوص أهل الكوفة ممن ألتف حول مسلم عند قدومه الى الكوفة .

وهذا الذي قلته مماثل لما ذكره السيد الأستاذ (قدس سره) من إلهام مسلم وتسديده، والذي بهما قد واجه النهي لقتل ابن زياد، أو أن النهي قد صدر من الحسين عليه السلام ووجب عليه بهذا الامتثال ، ولكن ما قلته يختلف إلا من حيث النتيجة فهي كذلك ، والاختلاف بأن وجهنا يمثل قراءة واوعية ومدركة لحقيقة الأمر من خلال الخبرة والاحتكاك مع أهل الكوفة أو المعرفة عند مسلم مكتسبة ، وفي وجه السيد الأستاذ أن المعرفة ملهمة عنده لسمو مرتبته وعلو نفسه وصفائها، والمفروض أننا نتحدث من الجانب الطبيعي والمتعارف بحسب الظاهر.

الأمر السابع: ولا يقال ان بمقتل ابن زياد أمكنت السيطرة على الكوفة ، وذلك لان الامكان لوحده غير كافٍ في الإقدام على هذا الفعل بما له من مضاعفات كثيرة لا تكون لصالح مسلم عليه السلام ، مع إمكانية التشكيك بأصل إمكانية السيطرة ، لتعقيد وضع الكوفة وكثرة الطامعين برضا بني أمية ، والمتزلفين والمنافقين الذين يستخدمون اغتيال ابن زياد وهو والي الكوفة مبرراً للتمرد والخروج على مسلم ، وهو عين ما فعله معاوية عندما تمرد على الخليفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو لم يقتل عثماناً ، وقد استفاد من اغتيال عثمان مبرراً للتمرد .

.....

التجسس الأموي..للتعرف على مكان السفير الحسيني عليه السلام:

دعا ابن زياد مولىً له يقال له (معقل) ، فقال : خذ ثلاثة آلاف درهم ، واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه ، فاذا ظفرت بواحدٍ منهم أو جماعة فاعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم ، وقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم ، واعلمهم انك منهم ، فانك لو قد اعطيتهم إياها لقد اطمأنوا إليك ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أمورهم وأخبارهم ، ثم اغدُ عليهم ورُح حتى تعرف مستقر مسلم بن عقيل وتدخل عليه .

ففعل ذلك ، وجاء حتى جلس الى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وهو يصلي[١]، فسمع قوماً يقولون: هذا يبايع الحسين.

فجاء وجلس الى جنبه حتى فرغ من صلاته ، ثم قال : يا عبد الله إني أمرؤ من أهل الشام[٢] انعم الله عليّ بحب أهل البيت وحب من احبهم ، وتباكى له .

ثم قال : وإن معي ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه، ولا اعرف مكانه، فإني لجالس في هذا المسجد الآن ، اذ سمعت نفراً من المؤمنين[٣] يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت ، وإني اتيتك لتقبض مني هذا المال، وتدخلني على صاحبك ، فإني أخ من أخوانك وثقة عليك ، وان شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه.

---

(١) ثم انه نظر الى رجل يكثر الصلاة الى سارية من سواري المسجد فقال في نفسه إن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة واحسب هذا منهم ... ..

(٢) وفي الأخبار الطوال ص٢٣٥ – ٢٣٦ قال : مولى لذي الكلاع من أهل حمص .

(٣) غير موجودة عبارته هذه في المصدر السابق وتاريخ الطبري ٣/ ٢٨٢ ، والكامل في التاريخ .

.....

فقال له ابن عوسجة [١] : أحمد الله على لقائك إياي ، فقد سرني ذلك لتنال الذي تحب ، ولينصرن الله بك أهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام، ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الأمر قبل أن يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته .

فقال له معقل : لا يكون إلا خيراً خذ البيعة عليَّ ! .

فأخذ بيعته ، واخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن ، فاعطاه من ذلك ما رضي به ، ثم قال له : اختلف إليَّ أياماً في منزلي ، فإني طالب لك الأذن على صاحبك .

واخذ يختلف مع الناس ، فطلب له الأذن فأذن له ، واخذ مسلم بن عقيل بيعته ، وأمر أبا تمامة الصائدي بقبض المال منه[٢] ، واقبل ذلك الرجل يختلف إليهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من امرهم فكان يخبره به وقتاً فوقتاً [٣] .

انتشار الخبر بالطالب للبيعة :

سمع جاسوس ابن زياد وعينه ، بان هذا الرجل الذي كان يكثر من صلاته في المسجد الأعظم في الكوفة ، هو ممن يأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام ، وبالتالي فان أخبارهم كانت منتشرة في الشارع الكوفي، مما يعني سوء الانضباط والتخطيط الأمني ، وبسوء الاختيار

---

(١) وفي نقل صاحب الأخبار الطوال ، فقال له : وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن هو في المسجد ؟ فقال : لأني رأيت عليك سيماء الخير ، فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ....

(٢) وهو الذي كان يقبض الأموال وما يعين به بعضهم ، ويشتري لهم به السلاح ، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب ووجوه الشيعة .

(٣) الإرشاد ص٢٠٧ ، وعنه البحار ٤٣/ ٣٤٢ – ٣٤٣ ، ومقاتل الطالبيين ص٦٤ ، وروضة الواعظين ص١٧٤ ، وتجارب الأمم ٢/ ٤٣ ، وتذكرة الخواص ص٢١٨ .

الشخصي لاختيار مسلم بن عقيل عليه السلام كسفير له ، وقد أُوصيَّ بكتمان أمره ، وبالتالي هل يعني وقوع الحسين عليه السلام في خطأ الاختيار أم لا ؟

ولكن يمكن ليَّ القول أن لا معنى لتخطئة الحسين عليه السلام ، فان انتشار الأخبار إنما كانت تحصل ممن كان مع مسلم وليس منه شخصياً ، فقد اتخذ طريق السرّية وكتمان الأمر كأسلوب لعمله .

وما حصل من انتشار خبر السفير الحسيني من جمعه للانصار والمبايعين قد كان من بعض الناس أو من مسلم بن عوسجة ، أو أن انتشاره بعد استفحال أمره ولم يكن في الأمر من ضرورة لكتمانه ، ويمكن أن نعطي تفسيراً لانتشار الخبر في الأمور التالية:

الأمر الأول: نشوة الفوز أو حصول التوفيق في بداية أمره ، فقد أخذ الناس ينهالون على مسلم لمبايعته والائتمار بأمره ، وهذا الوضع قد سرَّ من كان معه وأوجد إحساساً بحصول الهدف وقرب نجاح المهمة ، هذا الإحساس بالنشوة انساهم ضرورة الحذر وأهمية الكتمان، فراحوا يتناقلون الأمر ويذيعون التقدم بلا رادع من تقية أو احتمال وشاية ، خصوصاً مع كثرة العيون .

وهذا الأمر يحصل للكثيرين ممن يُناصرون الدعوات لاجتماعية لتغيير الأوضاع الفاسدة والقائمة في أوساطهم ، فيدفعهم الغرور وتوافق الأسباب في بداية المشروع الى حُسن الظن بجميع أو أغلب من حوله ، ممن يقل عندهم الحس الأمني المطلوب .

الأمر الثاني: انه لا يمكن لأي قائد أن يتدخل بأبسط التفاصيل في كيفية تصرف من معه من المؤمنين والأنصار، أو أن يضبط إيقاع تصرفاتهم وأقصى ما يفعله هو توجيه الإرشادات والنصائح والتعاليم لهم، لتعيين التصرف الصحيح.

فالبعض منهم يلتزم بها ويطبقها ، والآخرون يخرجون عنها قصوراً أو تقصيراً ، فما تقع من أخطاء عندهم لا يمكن عكسه على قادتهم وأن نحمّلهم مسؤولية خروجهم على قواعد العمل المطلوب ، وهذا أمر لا يمكن تجنبه أو التخلص منه بالمرة ، إلا للمخلصين الواعين الذين يرون فيها القائد معصوماً ، والخروج عن تعاليمه خروج عن نطاق التكاليف الإسلامية واقترافاً للإثم وتعدياً وتقصيراً في التكليف ؛ بل حتى لو كان كذلك في نظرهم – أي ان القائد عندهم معصوم – فقد تغلب عليهم أهوائهم ومطامعهم في تحقيق مصالح خاصة على حساب المصلحة العامة ، فيرتكبوا ما لم يكن بالحسبان من الأخطاء التي تؤدي الى نتائج وخيمة ، كما حصل لمخالفة الرماة لتعاليم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في واقعة أحد[1] .

الأمر الثالث: ضعف وعي التابعين وقلّة إدراكهم لعواقب الأمور، فيشتبه عليهم الحال حينما يخبر عنه طلباً لتكثير الانصار واستمالة الاعوان ، من دون أن يحسب لاحتمال الوشاية وكشف السر، فهم بعملهم يُريدون أمراً هو في صالح الدعوة ولكن في الحقيقة هو ضدها – وان لم يكن على مستوى كل من يخبر – بل على البعض منهم ، خصوصاً في مجتمع يكثر فيه المنافقين والمندسين ، وممن يهمهم من يدفع أكثر،لا من ينصر الحق وأهله ولامن يحسب لنصرة الحق حساب .

ومثل هذا الامر قد استشرى في بلدنا (العراق) أبان الحكم السابق ، فقد وقعت العديد من التنظيمات المعارضة أسيرة هذا الضعف وقلة الادراك ، فكانوا لقمةً سائغةً لأجهزة النظام الأمنية .

---

(١)سيرة المصطفى-مصدر سابق

.....

وهذا الوجه لا يختلف كثيراً عن سابقه ، باعتبار ان ضعف الادراك يوقعهم باخطاء لا يمكن سحبها على القادة – نعم لو كان اختيار التابعين بشكل عشوائي ومن دون تدقيق وتمحيص من قبل صاحب الدعوة أمكن سحب اخطائهم عليه ، فيكون خطأهم خطأه ، وهذا الكلام غير مستقيم مع الحديث عن مسلم بن عوسجة وهانيء ابن عروة وآخرون .

وهناك وجوه ذكرها السيد الأستاذ [١] لا تخلو من بعض المناقشات، أذكر منها :

قوله (قدس سره الطاهر) : (ان هذا موجود في قضاء الله وقدره، وكلما كان ذلك ، فلا بد من حدوثه ومطابق للحكمة الإلهية سواءٌ علمنا بسببه أو جهلنا) .

وعليه فيكون خارجاً عن اختيار وإرادة مسلم عليه السلام فينسد السؤال من أصله ، اذ ان أي اشكال على صحة تصرف مسلم أو تصرف الحسين عليه السلام والتخطئة للفعل فرع الاختيار والإرادة كما هو واضح .

وكذا قوله (قدس سره الشريف) [٢] : "ان العادة في تلك الاجيال – وهي عادة استمرت مئات وآلاف السنين – حتى لو لم تكن كتابة وأوراق تدل على الشخصية كما في الدول الحالية ، فكان الناس يسألون الفرد عن اسمه وانتسابه ، ويصدقون منه ذلك على السجية والعادة المتبعة ، وواضح انه لو كذب أي شخص فسوف يقع في أنواع من المصاعب اجتماعياً واقتصادياً ، أو يحتمل وقوعه ، فكان الناس يصدقون في اقوالهم تلك ، وكانوا يصدقون أقوال الآخرين في ذلك ، وليس اصحاب مسلم بن عقيل (سلام الله عليه وعليهم) إلا جماعة من ذلك المجتمع المعتاد على ذلك .

---

(١) أضواء على ثورة الحسين عليه السلام ، ص٢٠١ وجوابه في المستوى الأول .

(٢) المصدر السابق – المستوى الثاني .

.....

فاذا انضم الى ذلك حسن الظاهر والملاينة والمسايسة ، فقد اصبح الفرد ناجحاً في الامتحان أو الاختبار الاجتماعي ، وانتهى الأمر" .

وفي كلامه التالي :

٩

أولاً : إن جريان العادة ليس مطلقاً ، وفي كل الاصعدة الحياتية ، بل هو لو تم فانما يتم في العلاقات الاجتماعية والانسانية العامة في دائرة التعارف والتعريف واما في العمل السياسي ذي الخطورة الكبيرة فلا يمكن جريانها وإلا لاتصف الفرد بالسذاجة والغفلة .

ثانياً : ان العادة ليست مطلقة زماناً ، بل هي متغيرة ومتبدلة إلا اذا كانت نابعة من طبائع الناس وفطرتهم بحيث تكون أمراً مركوزاً ، واما اذا كان منشئها غير ذلك فهي متغيرة لا محالة .

واذا تم ذلك فإن وجود هكذا عادة منذ مئات السنين لا يستلزم بقائها واستمرارها وعدم تبدلها .

ثالثاً : ان وقوع مخالفات كثيرة وخطيرة لهذه العادة في التاريخ القريب من زمن سفارة مسلم عليه السلام وفي الكوفة بالذات يذهب بجريانها ادراج الرياح ، فقد كذب خليفة المسلمين معاوية مع التزاماته المذكورة والموثقة مع الامام الحسن عليه السلام وخبره هذا غير خفي على واحدٍ من المسلمين آنذاك مما يرجح ان تلك العادة لا تقتضي الجريان إلا في الامور العادية من العلاقات الاجتماعية العامة .

.....

ونفس الإشكال يأتي على ما ذكره السيد الأستاذ حينما قال[١]:
(مستوى النظر الى المواثيق المغلظة التي أخذها مسلم بن عقيل وأصحابه على (معقل) وقد أعطاهم من نفسه ما يريدون ، ولم يكونوا يتصورون أن شخصاً ما من المسلمين يمكن أن يحيف بالعهد أو أن يحيف باليمين ، وإنما قيام العلاقات بين الأفراد والمجتمعات كانت ولا زالت على شرف الالتزام بالعهود وإلا كان الفرد ساقطاً بالمرة أمام الله والناس .

فان مطلوبية الحذر في مهمة خطيرة كمهمة مسلم يدفع هذا الاحتمال وهو (لم يكن من الممكن ان هذا الانسان من الساقطين الى هذه الدرجة) .

نعم ، فيما ذكره من الآية الشريفة [٢] في محاورة إبليس مع آدم عليه السلام صحيحاً من جهة عدم وقوع حوادث مسبقة تدفع آدم الى عدم التصديق بمقولة اللعين ، واما في زمان مسلم وحصول أكاذيب عديدة على طول التاريخ ونقض مواثيق مؤكدة ، فلا يكون صحيحاً.

---

(١) المصدر السابق – المستوى الثالث : ٢٠١ – ٢٠٢ .
(٢) (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) سورة الأعراف : ٢٠ – ٢١ .

قرائن في كلام معقل أوهمت تصديقه:

الأولى : **انه رجل من الشام .**

وأهل الشام ليسوا كلهم غيرُ موالين لأهل البيت (عليهم السلام) أو قل غير محبين لأهل البيت ، لأن الظاهر منهم انهم يحبون أهل البيت ويوالون معاوية بصفته الوالي الشرعي من الخليفة الشرعي وبعده الخليفة الذي يسمى عندهم خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) للاشارة الى ان التنصيب قد جاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع كونهم لا يعرفون مصداق أهل البيت كما يحدثنا التاريخ عن امثالها كما في قصة الشامي مع السجاد عليه السلام .

الثانية : **ثلاثة آلاف درهم .**

وهذا المال الذي زاد في تصديقهم لدعواه ، لإستبعاد ان من أهل الكوفة المتوسطين في الحال من لا يملكون هذا المقدار من المال، وقد تم تسليمه لمسلم بن عوسجة .

المقام الخامس

- هانئ بن عروة في طريق الشهادة
- زيارة الوالي في قصر الامارة
- هانئ في مواجهة بن زياد
- هانئ بين الامتناع الديني والعشائري

.....

هانيء بن عروة في طريق الشهادة

وخاف هاني بن عروة عبيد الله على نفسه ، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما ليّ لا أرى هانياً !!؟

فقالوا : هو شاك فقال : لو علمت بمرضه لعدته .

ودعى محمد بن الاشعث واسماء بن خارجة ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي[1]، فقال لهم : ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا ؟ فقالوا : ما ندري ، وقيل انه يشتكي ، فقال : قد بلغني انه قد بريء وهو يجلس على باب داره !! فالقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا ، فاني لا احب ان يفسد عندي مثله من اشراف العرب .

فأتوه حتى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه ، وقالوا له : ما يمنعك من لقاء الأمير ، فانه قد ذكرك وقال لو اعلم انه شاك لعدته.

فقال لهم : الشكوى تمنعني .

فقالوا له : قد بلغه أنك تجلس كل عشيّة على باب دارك ، وقد استبطاك ، والابطاء والجفاء لا يحتمله السلطان ، اقسمنا عليك لما ركبت معنا .

فدعى بثيابه ، ثم دعى ببغلة فركبها ، حتى اذا دنى من القصر كأن نفسه احست ببعض الذي كان ، فقال لحسان بن اسماء بن خارجة : يا ابن الأخ اني والله لهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ فقال : يا عم والله ما اتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلاً.

ولم يكن حسان يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله .

---

(١) وكانت رويحة بنت عمروبن الحجاج الزبيدي تحت هانيء بن عروة ، وهي أم يحيى بن هاني من الإرشاد ص٢٠٩ .

.....

فجاء هانيء حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده القوم ، فلما طلع قال عبيد الله : اتتك بخائنٍ رجلاه .

فلما دنى من ابن زياد ، وعنده شُريح القاضي[١] التفت نحوه ، فقال

أريد حياتـه ويريد قتلـي عُذيرك من خليك من مرادي

فقال هاني : وما ذاك أيها الأمير ؟

فقال : ايه ، يا هاني بن عروة ما هذه الأمور التي تربّص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ؟! جئت بمسلم بن عقيل فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وظننت ان ذلك يخفى عليَّ ؟!

قال:مافعلت ذلك ..وما مسلم عندي.

فقال : بلى قد فعلت .

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلا مجاهدته ومناكرته دعى ابن زياد معقلاً ذلك اللعين فجاء حتى وقف بين يديه .

فقال : أتعرف هذا ؟

قال : نعم !! وعلم هاني عند ذلك انه كان عيناً عليهم وانه قد أتاه بأخبارهم فاسقط في يده ساعه ، ثم راجعته نفسه .

---

(١) ستاتي ترجمته في المقام السادس

زيارة الوالي في قصر الإمارة

ويمكن لنا ان نوجه ملازمة هانيء بن عروة في زيارة والي الكوفة ابن زياد ، بالتالي :

الوجه الأول: ان نقول انه ليس في كلام ابن زياد أية دلالة على اختلاف هانيء الى بيت الإمارة ، فانه قد قال : (وما يمنع هانيء ...) وهو سؤال عن السبب الذي يمنع هانيء من اتيان عبيد الله ، وليس فيه الدلالة المسؤول عنها ، غاية ان ما يفهم منها ان اتيان الأمراء أمر متعارف في ذلك الزمان خصوصاً لأهل الوجاهة والشرف والجاه الاجتماعي ، وحيث يكون هانيء أحد هؤلاء فمقتضى العرف السائد هو استغراب الأمير عبيد الله من عدم مجيء هانيء وبالتالي سؤاله عن السبب المانع ، فالأمراء يحبون أن يختلف إليهم أهل الوجاهة والجاه ليجد نفسه في عزة اجتماعية وقبول عام لأن الوجهاء اذا قبلوا وتعاطفوا مع الوالي انجر ورائهم أصحابهم ومواليهم ، كما أن الأمراء وأهل السوء – منهم خاصة – يتحسسون من عدم المجيء خوفاً من ان يميل الشخص الى أطرافٍ أخرى مناؤة لهم ولسياستهم مع ظهور بوادرها على صعيد الساحة السياسية ، وهي كانت متفاعله مع مسلم ووظيفته المرسل بسببها للكوفة .

وقد يفسر عندهم عدم المجيء انه استغناء عن الوالي وما يمكن ان توفره الولاية له من مكاسب ومصالح لا بد من تحقيقها بالمرور عبر موافقة الوالي وديوان الولاية ، ويفسر الاستغناء عنهم بالضعف من

.....

جانبهم أو بعدم احكام السيطرة من قبل الوالي على المستغني ، ومثل هذا الامر لا يحتمله الوالي اذا كان على صفات ابن زياد .

ويقرب ما نقوله من معنى العبارة الدارجة عندنا (شو ماكو انت أو ما نشوفك) عند لقاءنا الشخص نرجوا ان يلتقي بنا ويتردد علينا ، أي نسأل عن سبب عدم إتيانك إلينا .

الوجه الثاني: ترسل هذه العبارة اشارة الى ثلة من المتزلفين ممن تنطلي عليهم الاكاذيب ويمرر عليهم التسويف امثال (محمد بن الاشعث الكندي واسماء بن خارجة الفزاري وعمرو بن الحجاج الزبيدي) وغيرهم ، لاستمالة هاني واقناعه بالمجيء إلينا - وهذا بلسان عبيد الله بن زياد - .

وقد فعل هؤلاء بعد فهمهم لبعض الرسالة ، وقد جاءوا الى هاني فقالوا : (ما يمنعك من لقاء الأمير ....) كما أخبروه بعلم الطاغية بوقوفه على باب الدار ، مما أوقع هاني في حالة من التردد والاندهاش ، وأوجس في نفسه خيفة من هذا الطاغية ، حيث علم بوقوفه على باب الدار لأستقبال الناس من أجل مسلم عليه السلام .

وقد جهد هؤلاء باقناع هاني فأخذوا يحلفون له ويلحون عليه بالقبول لمواجهة الأمير وأنه لا محذور فيه عليه ؛ حتى اثمرت جهودهم في اقناعه بالمجيء ومقابلة الطاغية، على ما نقلناه فيما سبق.

الوجه الثالث: ان العبارة تحمل نوع عتاب على هاني لاقتضاء العلاقة السابقة ما بين (زياد وعروة) بالاستمرار والابقاء عليها في ولديهما (عبيد الله وهاني) لأن ذلك هو مقتضى انحفاظ الأب بولده ، اذ يجب على الولد ان يحفظ علاقات والده ويديم بقاؤها ولذا قيل (الأب

.....

يحفظ في ولده) ومقتضاه بقاء التواصل بين الأبنين ، فكأنه يعتب أو يعيب على هانيء قطع الصلات التي كان والده يحترمها .

وبالتالي فان العبارة مجرد حيلة لاستدعائه ، فانه كلام فارغ يراد به الاعداد للشر لا اكثر ولا اقل ، لانه لم يكن قد ذهب هاني لكي ينقطع، لا اقل لم يكن قد عوده الذهاب الكثير لكي يعتب عليه بالانقطاع [1]، واما ما يظهر من بعض الروايات ذهاب هانيء الى قصر الإمارة فالظاهر انه في زمن النعمان لا في أيام عبيد الله بن زياد، لأن مدة إمارته لا تسمح بذلك وهانيء مشغول مع مسلم بن عقيل (عليه الرحمة).

جلوسه على باب داره :

والجلوس على باب داره ليس بمعناه المتعارف أي لمجرد الجلوس بل الجلوس لغرض سامي،وهو استقبال الناس الذين يريدون الاختلاف على مسلم واللقاء به والتسليم عليه ، والتعرف إليه باعتباره ممثلاً عن ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وغالب الاستقبال يحصل في باب الدار وعليه الأعراف الحالية ، فمن يريد استقبال ضيف له فانه يستقبله في باب داره وقبل دخوله زيادةً في إكرامه واحترامه ، وخصوصاً اذا كان من أهل الشرف والفضل .

والجلوس على باب الدار لا يفعله أواسط الناس فكيف بشرفائهم وأهل الشرف منهم كمشايخ العشائر ورجال الدين ، فان جلوسهم على باب الدار مستهجن ومستقبح عندهم لا يمكنه ارتكابه ، لأنه يعبر عن إسفاف اجتماعي ومثلهم لا يفعله ، وهانيء بن عروة من وجهاء الكوفة

---

(١) الشذرات ، ص٢٨٤ .

.....

ورئيس لعشيرة مذحج، فلا يعقل ان يجلس لمجرد الجلوس على باب الدار ، فانه أمر لا يرضاه له قومه كذلك.

مشاركة المبعوثين في المؤامرة :

ان (محمد بن الأشعث الكندي وأسماء بن خارجة الفزاري ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي) قد شاركوا في قتل هانيء بن عروة ، ولكن المباشر الضامن هو عبيد الله بن زياد (عليه اللعنة) فاعل القتل ، وأما هم فمثلهم كمن سلم شخصاً لآخر كي يقتله ، فيؤاخذ بعقوبة السجن المؤبد .

نباهة هانيء :

ولقد كان هانياً نبهاً وملتفتاً الى غدره ، ولكنه أتكل على وجاهته وهو بما يمثله من موقع اجتماعي وعشائري وديني ، مما يجعل في نفسه استبعاد ان يجرؤ ابن زياد على الاساءة له وربما هو بحاجة الى مجاملته لضمه الى صفه ، أو إبعاده عن مسلم عليه السلام على أقل تقدير .

هذا مضافاً الى ان عدم الاستجابة لدعوة ابن زياد بسبب تخوفه منه قد يُعدُّ منقصة ومثلمة اجتماعية لا يحتملها مثل هانيء الوجيه الشريف، الذي صارع نفسه أكثر من مرة ؛ لتخوفه من الرجل مع احساسه النفسي بنية الفتك به ، وشيمته ان لا يوصف بالخائف وهو رئيس عشيرة قوامها آلاف الفرسان والرّجالة ، وهو مسموع الكلمة فيهم ، ومهاب مطاع ، يأمر فيمتثل لأمره وتسعى عشيرته في مرضاته ، فرأى ابن عروة ان يغلّب الثانية على الأولى .

.....

وعبارة (ولا تجعل على نفسك سبيلاً وانت البريء) يؤيد ما رجحه هانيء ابن عروة بان لا يجعل على نفسه سبيلاً للنقد والازدراء لو لم يذهب إليه وهو بريء ...

تأمل في الكلام

أولاً : الفرق بين (اتتك بخائن رجلاه) و (اتتك بحائن رجلاه).

انه على قراءة (خائن) فهل مثل يضرب في ان فاعل الشر يعود عليه شره .

وعلى القراءة الثانية ، فهو ما يضرب في السعي الى المكروه ليقع فيه ، وهذا من (حان) أي دنا أجله وحضرت ساعته .

ويفرق بينهما أيضاً أن الخيانة السبب والحين هو المسبب حين موته؛ لأن من يخون يقرب ويحين موته .

ثانياً : الفرق بين (اريد حياته) و (اريد حبائه) .

على الاول من الحماية والمنعة ، فهو يريد حمايته والمنع عنه ، واما على الثاني فهو من الاعطاء ، فيقال : (حباه لكن) أي اعطاه ، ومنه (الحبوة) فيفيد الإكرام والتقدير .

وبهذا يتضح الفرق : فعلى الاول يريد حياته وعلى الثاني يريد حمايته وإكرامه ، وبالحماية والإكرام تصان وجاهة الشخص ، فعلى الثاني (انه جعل حفظ حياته بحمايته وإكرامه) ، وعلى الاول مطلق

.....

إرادة الحياة وبأي سبب كان ، ففي الثاني تكون زيادة في التقدير والاحترام .

ثالثاً – في كلام القوم مع هانيء بن عروة ، نقلوا عبارة لم يقلها ابن زياد في كلامه معهم ، حينما أرسلهم الى طلب هانيء وتبليغه استياء الوالي من عدم تواجده في محل الأشراف في مجلسه ، وقالوا انه يقول:(لو اعلم انه شاك لعدته) ، والذي يظهر انهم قد فهموا من كلام ابن زياد ذلك المعنى فنقلوه ، وعليه فلا يكون من الكذب ،وأما اذا لم يكن من كلام ابن زياد(عليه اللعنة) لهم ذلك ، فهذا النقل يدخل في الكذب لسبب الاصلاح والتقريب فلا يشمله حكم الكذب ، وأما ان لا يدخل ، بل هو مجرد كلام منهم لتحسين صورة ابن زياد ورغبته في زيارة هانيء ، ولحثه على زيارته واستباقه بالمبادرة ، فهو مضافاً الى كونه كذباً ، فهو تغرير بهانيء أيضاً.

ويبقى احتمال التصحيف والزيادة [1] بنسبتها الى هؤلاء .

---

(١) التصحيف والزيادة هنا بمعنى واحد ، أي ان هذه الزيادة قد جاءت خلال تصحيف النقل والتسطير للأحداث .

هاني ء في مواجهة ابن زياد

(... فاسقط في يده ساعة ، ثم راجعته نفسه .

فقال : اسمع مني وصدق مقالتي ، فوالله لاكذبت ، والله ما دعوته الى منزلي ، ولا علمت بشيء من أمره حتى جاءني يسألني النزول فاستحييت في رده ، ودخلني من ذلك ذمام وضيفته وآويته ، وقد كان من أمره ما بلغك ، فان شئت ان أُعطيك الآن موثقاً مغلّظاً الا ابغيك سوءاً ولا غائلة ، ولآتينك حتى أضع يدي في يدك ، وان شئت اعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك ، وانطلق إليه فآمره ان يخرج من داري الى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!!

فقال ابن زياد : والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به .

فقال : لا والله ، لا اجيئك به أبداً ، أجيئك بضيفي تقتله !؟

قال : والله لتأتيني به .

فقال : لا والله لا آتيك به .

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي – وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره – فقال : أصلح الله الأمير ، خلني وإياه حتى أكلمه .

فقام فخلا به ناحية من ابن زياد ، وهما منه بحيث يراهما ، فاذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان .

فقال له مسلم : يا هاني انشدك الله ان تقتل نفسك ، وان تدخل البلاء في عشيرتك ، فوالله إني لانفس بك عن القتل ، ان هذا الرجل ابن عم القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليهم فانه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة ، انما تدفعه الى السلطان !

.....

فقال هانيء : والله ان عليّ في ذلك الخزي والعار ان ادفع جاري وضيفي وانا حي صحيح ، اسمع وأرى ، شديد الساعد كثير الاعوان ، والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه!!

فأخذ يناشده وهو يقول : والله لا ادفعه إليه ابداً !!

فسمع ابن زياد ذلك ، فقال : أدنوه مني ، فادنوه منه ، فقال : والله لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك ، فقال هاني : اذن تكثر البارقة حول دارك !

فقال ابن زياد : والهفاه عليك ، ابالبارقة تخوفني !؟ .. ادنوه مني .

فادنوه منه ، فاعترض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب به انفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته ، ونثر لحم جبينه وخده على لحيته حتى كسر القضيب ، فضرب هاني يده الى قائم سيف شرطي ، وجاذبه الرجل ومنعه ، فقال عبيد الله : أهروري ساير اليوم !؟ قد حلّ لنا دمك ، جروه !

فجروه والقوه في بيت من بيوت الدار واغلقوا عليه بابه ، فقال : اجعلوا عليه حرساً ، ففعل ذلك به) [1] .

---

(١) الإرشاد ، ص٢٠٩ .

هاني . . بين الامتناع الديني والعشائري

أولاً: ان هاني في دفاعه عن الامتناع في وجه ابن زياد لأجل تسليم مسلم بن عقيل عليه السلام حسب المنقول ، كان بدافع عشائري ، ولكن سيدنا الأستاذ الشهيد (قدس سره الشريف)[1] قد طعن بسند الرواية ، ، فان هكذا كلام لا وجود له في المصادر الإمامية ، وانما هو موجود فقط في مصادر العامة ، فهم متصورون هذا المعنى ، لأجل فضح الشخصيات الإمامية والمجاهدة بالسيف بين يدي المعصومين (عليهم السلام) واصحاب المعصومين (عليهم السلام).

فاما ان نطعن بابن الأثير نفسه ، واما ان نطعن بالرواة السابقين عليه وعلى كل تقدير فالمسألة ساقطة ، ثم أجاب عن اشكال بقوله :

فإن قلت: اذا كان ابن الأثير على هذا المستوى فلماذا لم يغض من شأن مسلم بن عقيل عليه السلام مع العلم ان من كان اتجاهه هكذا فلا بد ان يغض من شأن كلا الشخصين .

قلنا: انه فعل ذلك احياناً الا انه لم يستطع لوضوح شأن مسلم بن عقيل عليه السلام بشكل اجلى واعلى من هاني بكثير كما هو واضح .

وأُضيف على جوابه: ان مركز الحركة ومحورها هو مسلم بن عقيل ، واما هاني فهو من المدافعين عنها ، وما يقتضيه الاهتمام التاريخي على مر العصور هو تسليط الاهتمام بالشخص الأول والذي هو (صاحب القرار ومركزه) ، وبالتالي فان كثرة هذا الاهتمام يمنع

---

(١) الشذرات ، ص٢٩١ .

.....
التلاعب ببعض الحقائق إضافةً أو حذفاً ، بل كل تحريف سيكون مكشوف الحال بكل تأكيد ، والمؤرخ لا يجازف بسمعته .

ثانياً: بعد التنزل وقبول صحة الخبر ، فان هانياً إنما قال ذلك وفق قانون (كلم الناس على قدر عقولهم) ، ومثل ابن زياد لا يعي التكليف والواجب الشرعي للتكاليف العامة ، فكيف يعي تكاليفه المتعلقة بالعمل الاجتماعي والاصلاح العام ، مع إمكان إقناعه بمثل القول : (... انه خروج عن الاعراف الدارجة ، والعادات المتبعة جيلاً بعد آخر) والخروج عن هذه الاعراف غير مقبول عند الكل كما هو غير مقبول عند الطاغية ، وقد استعمل الامام الحسين عليه السلام مثل هذا الاسلوب مع الجيش المعادي له بقوله (... ان لم يكن لكم دين وكنتم اعراباً فارجعوا الى أحسابكم) .

فإن الرادع إما أن يكون (شرعياً): وهو فاعل عند المتدين والمتورع واما عند غيره فلا أثر له .

أو أن الرادع يكون (عرفياً): وهو فاعل عند أمثال هؤلاء فقد يجد له اذناً صاغية ونفساً مستمعة تقبل العذر ، ويعتبر التمرد عليه أو الاستخفاف به أمراً غير مقبول .

ثالثاً: لم يكن هانياً متخوفاً الى الدرجة التي يطمأن بان عبيد الله سيفتك به ، بل كان خائفاً الى درجة يحتمل الخلاص وانقاذ نفسه ، اذ لا مصلحة في قتله الآن وفي مثل تلك الظروف ، وهذا الأمر هو الذي دفع هانياً للاعتذار بمثل تلك الكلمات التي توقع انها ستنجيه من الذي هو فيه من موقف خطير الى الغاية ، وهو – أي هذا الموقف – لا يترك لصاحبه فسحة من الوقت ليتأمل جيداً فيما يقول ، فيقول ما

.....

يخطر بباله مما يمكن ان يتخلص به من الورطة ، فان كل الاحتمالات لا تكون متهيئة للانسان وقت الازمة والشدة وما فيها من ضيق ، فيكون مضطرب الحال غير مستقر النفس ليتفكر بهدوء وينضَم ما يقوله ؛ بل يصدر منه الكلام الذي يتبادر الى ذهنه أول لحظةٍ ، ظناً منه انه ينجيه ، وكم من حادثة من هذا القبيل حصلت لكثير من العراقيين المعتقلين في عهد الطاغية السابق وقد راحوا ضحيتها – تغمدهم الله برحمته - .

واذا ضممنا الوجه السابق الى ما قلناه هنا ، لم يكن هانياً قد قتل في سبيل صيانة القانون العرفي والعشائري من دون وازع ديني .

تأمل وملاحظة :

أولاً – ينقل ان هانياً قد قال لأبن زياد (عليه اللعنة) : (والله ، لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه) فهي عبارة يفهم منها لبعض الدلالة على الاحتقار لمسلم بن عقيل وما يمثله من رفعة لمكان السفارة عن الحسين-ع-!!ولكن هذا الفهم غير صحيح ومردود بالتالي

الأول : وهو جواب يلغي أصل السؤال ، فان العبارة لا تدل على الاحتقار ، والقرينة هو القسم المصدر به العبارة ، مما يعني انه اراد معنىً سامياً يتناسب والقسم .

والذي افهمه ، هو شدة الحرص والحماية لـ(مسلم) ، وان الرجل التي هي طرف متحرك دائماً ، ستثبت في مكانها لو كان تحتها ، بحيث ينتفي رفعهاليكشف عن المستور تحتها او يتعرض ما ستره لمكروه.

....
على ان احتمال تصحيف قد حصل في العبارة ، فبدلت كلمة (قوتي) بكلمة (قدمي) ، والقرينة قرب رسم الواو والدال بالخط اليدوي، ويؤيده جواب السيد الشهيد (قدس سره الشريف) الأول[١] .

الثاني : ما ذكره السيد الأستاذ (قدس سره) أنها لغة عامة ، تقال على كل أحد ، وقد تستعمل للاحتقار كقول معاوية عن العهود التي بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام (وكل عهد عاهدته الحسن ، فتحت قدمي) [٢].
وفيه نظر: لأن مقولة معاوية ليست بإنشاء بل اخبار عن جعل المعاهدة تحت القدم ، وما دام قد أخبر عن شيءٍ واصفاً إياه بأنه تحت قدميه، فيدل على الاحتقار وعدم الاعتناء بشأنه .

الثالث : ما ذكره السيد الشهيد (قدس سره) أن (لو) إمتناعية ، وهذا يمكن استغلاله للجواب ، فيكون المعنى (لن يكون أمر مسلم تحت قدمي) أو (امتنع أن يكون تحت قدمي لأن شأنه رفيع)[٣] .
أقول: وهذا صحيح بدون الجار والمجرور (عنه) وأما معه فلا يستقيم ما ذكره الأستاذ (قدس سره) إلا إذا احتملنا زيادة (عنه) في العبارة المنقولة .
مع ان الجواب ناظر الى جملة الشرط وأما جوابه فغير ناظر إليه، وبالتالي سيكون تفسيرا مبتوراً للعبارة .

ثانياً – قيل بعدما آمنه هاني بقوله (..أيها الأمير ، قد كان الذي بلغك ، ولم أضيع يدك عندي ، وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت!!)

---

(١) الشذرات ، ص٢٠٧ .
(٢) و(٣) الشذرات ، ص٢٨٨ .

.....

فاطرق عبيد الله بن زياد ، ومهران قائم على رأسه وفي يده معكزة ، فقال : (وا ذلاه هذا الحائك يؤمنك في سلطانك) .

ومعناها (أن من الذل أن تكون سلطاناً يملك من القوة والمنعة والعدة والعدد والرجال والمال ، ويطلب إليك الأمان من قبل حائك - وهي صنعة وضيعة يومذاك -) .

.....

المقام السادس

- الاشتراك في الخدعة
- قيام مسلم
- رايات التخذيل والأمان
- عبيد الله بعد العاصفة

.....

الاشتراك في الخدعة

(.. وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قُتل ! فاقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ،ثم نادى :أنا عمرو بن الحجاج ، وهذه فرسان مذحج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة ،وقد بلغهم أن صاحبهم قُتل فاعظموا ذلك!

فقيل لعبيد الله : هذه مذحج في الباب !

فقال لشُريح القاضي [1] : أدخل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم أخرج واعلمهم أنه حي لم يقتل !! .

---

(١) هو شريح بن الحارث بن المنتجح الكندي ، ويكنى أبا أمية ، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة ، فلم يزل قاضياً ستين سنة ، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير ثم استعفى الحجاج في العمل فاعفاه ، فلزم منزله الى ان مات ، وعمّر عمراً طويلاً ، حتى قيل : انه عاش مائة وثماني سنين ، وتوفي سنة (سبع وثمانين) ، البحار ٤٢/ ١٧٥ – شرح النهج لأبن الحديد ١٤/ ٢٩ .

وقد ذكر المؤرخون انه ممن شهد على حجر بن عدي الكندي بالكفر والخروج عن الطاعة وكتب زياد شهادته الى معاوية مع سائر الشهود ، وقد اساء الادب مع امير المؤمنين عليه السلام في مقامات ، مثل صياحه (وآ سنة عمراه) عندما نهاه الامام عليه السلام عن صلاة التراويح .

وروى الشيخ الصدوق (قده) ان علياً عليه السلام كان في مسجد الكوفة ، فمرّ به عبد الله بن فضل التميمي ومعه درع طلحه ، فقال عليه السلام هذه درع طلحة أخذت غلولاً يوم البصرة ، فقال اجعل بيني وبينك قاضياً ، فقال شريح له عليه السلام : هات بينه ! فاتاه بالحسن عليه السلام ، فقال : هذا واحد ولا اقضي بشاهد حتى يكون معه آخر ، فاتى عليه السلام بقنبر ، فقال : هذا مملوك ولا اقضي بشهادة المملوك فغضب عليه السلام وقال : خذوا الدرع ! فان هذا قضى جوراً ثلاث مرات ، فقال شريح : من اين ؟ قال عليه السلام قلت : انها درع طلحة اخذت غلولاً يوم البصرة ، فقلت : هات بينة ، وقد قال النبي (ص) : (حيثما وجدت غلول اخذت بغير بينه) ، ثم اتيتك بالحسن ، فقلت : لا اقضي حتى يكون معه آخر ، وقد قضى النبي بشاهد ويمين ، ثم اتيتك بقنبر ، فقلت : هذا مملوك وما بأس بشهادة المملوك اذا كان عدلاً) ، من لا يحضره الفقيه ٣/ ٦٣ .

وروى الاعمش عن ابراهيم التميمي ، قال : قال علي عليه السلام لشريح وقد قضى قضية نقم عليه أمرها : والله لانفينك الى بانيقيا شهرين تقضي بين اليهود ، قال : ثم قتل علي عليه السلام ومضى دهر فلما قام المختار بن ابي عبيدة لشريح : ما قال لك أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا ؟ قال انه قال كذا ، قال :

.....

فدخل شريح فنظر إليه ، فقال هاني لما رأى شريحاً[١] : يا الله ! يا للمسلمين ! أهلكت عشيرتي ! اين اهل الدين !؟اين اهل المصر !؟ - والدماء تسيل على لحيته اذ سمع الرجّة على باب القصر – فقال : إني لأظن انها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين ، انه ان دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني !

فلما سمع كلامه شريح خرج إليهم ، فقال لهم : ان الأمير لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه ، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأُعرفكم أنه حي وان الذي بلغكم من قتله باطل !

فقال له عمرو بن الحجاج واصحابه : اما اذا لم يقتل فالحمد لله [٢] ، .. ثم انصرفوا) [٣] .

فلا والله لا تقعد حتى تخرج الى بانيقيا تقضي بين اليهود فسير إليها) ، شرح النهج لأبن ابي الحديد ٤/ ٩٨ .

(١) وفي رواية الطبري ٣/ ٢٧٦ – فقال له هانيء : اتق الله يا شريح فانه قاتلي ! فخرج شريح حتى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه : إنما حبسه الأمير ليسأله .

(٢) وفي رواية الدينوري في الأخبار الطوال / ٢٣٨ : فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج : اما اذا كان صاحبكم حياً فما يعجلكم الفتنة !؟ انصرفوا .. انصرفوا) .

(٣) الإرشاد ، ص٢١٠ .

قيام مسلم

(ويحدثنا عبد الله بن حازم البكري [١] ، فيقول : (أنا والله رسول ابن عقيل الى القصر في أثر هانيء لأنظر إليه أمره ، فدخلت فاخبرته الخبر ، فأمرني أن أنادي في اصحابي وقد ملأ الدور منهم حواليه ، فقال نادِ : (يا منصور أمت) فخرجت فناديت ، وتبادر أهل الكوفة فأجتمعوا إليه .

فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على (ربيعة) وقال له : (سر أمامي) وقدم في الخيل ، وعقد لمسلم بن عوسجة على (مذحج وأسد) وقال له : (انزل فأنت على الرجالة) وعقد لأبي تمامة الصائدي على (تميم وهمدان) وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على (أهل المدينة) ثم أقبل نحو القصر ...) [٢] .

(.. وعن عباس الجدلي قال : خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف ، فلما بلغنا القصر إلا ونحن ثلثمائة !! وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ، ثم أن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا ، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق ، وما زالوا يتوثبون حتى المساء ...) [٣] .

وبادر عبيد الله بن زياد الى المسجد (خشية أن يثب الناس به)[٤] فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه فقال: (أما بعد أيها الناس ، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا

---

(١) اورد الطبري اسمه هكذا (عبد الله بن حازم البكري ، من الأزد ، من بني كبير) ٣/ ٢٨٨ .
(٢) مقاتل الطالبيين ، ص٦٦ .
(٣) الطبري ، ٣/ ٢٨٧ .
(٤) المصدر السابق .

.....

فتهلكوا وتدلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا أن أخاك من صدقك وقد اعذر من انذر) [١] .

ثم ذهب لينزل ، فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمّارين يشتدون ويقولون : (قد جاء ابن عقيل ! قد جاء ابن عقيل !) .

فدخل عبيد الله القصر مسرعاً ، وأغلق بابه) [٢] .

واقبل مسلم بن عقيل (عليه الرحمة) في وقته ذلك عليه ، وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح ، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه [٣] .

واقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الرومية[٤] وجعل من في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم ، فيتقون أن يرموهم بالحجارة وان يشتموهم ، وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه[٥] .

ثم قاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنُشّاب ، ويمنعوهم من الدنو من القصر ، فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا)[٦] .

---

(١) الطبري ٣/ ٢٨٦ ، الفتوح ٥/ ٨٥ – ٨٦ .
(٢) الطبري ٣/ ٢٨٦ .
(٣) الفتوح ٥/ ٨٦ .
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٧ .
(٥) المصدر السابق .
(٦) الأخبار الطوال ، ص٢٣٨ .

رايات التخذيل والأمان

ودعا عبيد الله : كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره ان يخرج فيمن أطاعه من مذحج ! فيسير بالكوفة ويخّذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت فيرفع راية الأمان لمن جاءه من الناس .

وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي ، وشبث بن ربعي التميمي ، وحجّار بن ابجر العجلي ، وشمر بن ذي الجوشن العامري ، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس..)[١] .

فبعث ابن عقيل الى محمد بن الاشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي ، فلما رأى محمد بن الاشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي الى محمد بن الاشعث : قد حُلت على ابن عقيل من العرار .

فتأخر عن موقفه فاقبل حتى دخل على ابن زياد من جهة دار الروميين [٢] .

فلما اجتمع عند عبيد الله (كثير بن شهاب ، ومحمد بن الاشعث والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم ، فقال له كثير – وكان مناصحاً لابن زياد - : أصلح الله الأمير معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس

---

(١) الطبري ٣/ ٢٨٧ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٧ .

.....

ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك فاخرج بنا إليهم: فأبى عبيد الله ، وعقد لشبث بن ربعي لواءً فأخرجه [١] .

وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم فقاتلوا قتالاً شديداً ، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد اشرفوا على جدار القصر ينظرون الى محاربة الناس [٢] ، واقتتلوا قتالاً شديداً الى ان جنّ الليل[٣] .

فبعث عبيد الله الى الإشراف ، فجمعهم إليه ثم قال : (اشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة (الزيادة والكرم) وخوفوا أهل المعصية (الحرمان والعقوبة) وأعلموهم وصول الجنود من أهل الشام إليهم)[٤] و (ليشرف كل رجل منكم في ناحية من السور فخوفوا القوم) ، فاشرف كثير بن شهاب ومحمد بن الاشعث والقعقاع بن شور ، وشبث بن ربعي وحجار بن ابجر وشمر بن ذي الجوشن فتنادوا : يا أهل الكوفة ! اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ، ولا تشقوا عصا هذه الأمة ! ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام ، فقد ذقتموهم وجربتم شوكتهم !

فلما سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور !!)[٥].

فتكلم كثير بن شهاب .. ايها الناس ، الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل ، فان هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت ! وقد اعطى الله الأمير عهداً لئن اقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم ، ان يحرم ذريتكم العطاء ، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع ، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الفتوح ٥/ ٨٦ – ٨٧ .
(٣) مثير الأحزان ، ص٣٤ – اللهوف ، ص٢٢ .
(٤) الطبري ٣/ ٢٨٧ .
(٥) الأخبار الطوال ، ص٢٣٩ .

بالغائب ، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جّرت أيديهما ! .

فلما سمع مقالتهم الناس اخذوا يتفرقون ، واخذوا ينصرفون![١].

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه وأخاه وابن عمه فيقول: انصرف فان الناس يكفونك ! وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع !! [٢] .

تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل (رحمه الله) ويقول بعضهم لبعض : ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام !؟ ينبغي لنا انْ نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يُصلح الله ذات بينهم..[٣].

استفهامات

الاستفهام الأول – لماذا أمتنع ابن عقيل الهجوم على قصر الإمارة .

ويمكن لنا في مقام الجواب أن نجيب بالتالي :

أولاً: ان مهاجمة القصر ليست بالعملية السهلة الميسورة فهي تحتاج الى دقة في الحساب ومعرفة تحصينات الخصم وعدد ما عنده من

---

(١) الطبري ٢٨٧/٣ – الفتوح ٥ : ٨٧ .
(٢) الأخبار الطوال ، ص٢٣٩ .
(٣) الفتوح ٥/ ٨٧ .

الرماة والمقاتلين وإماكنه ، وفتح باب القصر أو التسلق عبر الجدران وغير ذلك من فنون الحرب التي لم يعهدها بعض المقاتلين يومذاك .

فيكون الاستعجال من دون دراسة ميدانية ومستفيضة ، لما يمكن ان يواجهه الاقتحام من صعوبة عملية غير مضمونة النتائج ، وقد تمثل تهوراً لا يليق بمقام قائد مثل مسلم بن عقيل (عليه الرحمة) .

وعلى هذا يكون الانتظار وغلبة الظن بتسليم من في القصر اذا طال عليهم الحصار لو اتسقت الأمور وسارت على ما يُرام .

ثانياً: ان مسلماً لم يكن متأكداً من استجابة أهل الكوفة للمضي قدماً في عملية الاقتحام للقصر ، ومع عدم التأكد فيها، كان ولا بد من التريض قليلاً من الوقت ليكون القادمون معه على المحك الحقيقي من جدية المشاركة فيما لو عزم على الإمضاء .

ولم يغب عن مسلم سفاهة وخذلان أهل الكوفة لعمه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وأبنه الزكي المجتبى (عليهما السلام) ، فكانت هذه الصورة ماثلة أمامه مع احتمال تكرارها وهو وارد جداً ، خصوصاً أنها قد وقعت مع من هو أفضل منه بكثير .

وحينما تباطأ لأنجاز الهجوم على القصر لاختبار من معه انقلبوا عليه ورجعوا على أعقابهم القهقري ، فقد حنت نفوسهم الى عادة الغدر والتمرد على أهل الحق .

ثالثاً: ما ذكره بعض الكتاب[1] (من ان في القصر نساءً وأطفالاً ، والرحمة بالضعيف وهو الموافق لحميّة الدين ورجاحة العقل ، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : (أوصيكم بالضعيفين) ، ثم لا يؤمن الجندي على ضرب امرأة أو صبي تعمداً أو غفلة .

---

(١) مسلم بن عقيل سفير الحسين ، للشيخ عبد الواحد المظفر ، ص٨٣ .

.....

وان في القصر أناساً لم يشتركوا مع الأشقياء وان جاءوا لمصالحهم المتعددة التي يعتمد القصر على قضائها ، كطلب الحقوق واستيفاء الرواتب ... وفيهم من يزور الوالي مجاملة واطفاءًا لشره والجيش الفاتح لا تؤمن معرفته ولا يضبط تجاوزه ولا يجوز قتل الابرياء بوجه من الوجوه) .

وفيه: ان ما ذكره فرع امكانية مسلم المحققة لفتح القصر وهزيمة جند الطاغية المتترسين فيه ، وقد عرفت في الاولين تعذر ذلك ، فما ذكره بمنزلة المانع ، والكلام فيه متفرع عن وجود المقتضي وهو غير موجود لما تقدم .

رابعاً: سرعة تصرف الدعي ابن زياد ؛ باستخدام دهائه وخبثه ، فقد بدأ حملة تشويش وتخذيل كبيرة على الجيش المهاجم لاجل تفريقهم عن مسلم بن عقيل وقد امر على هذه الحملة جملة من شيوخ العشائر ووجهاء القوم وقاضي القضاة وغيرهم من المتزلفين وأهل المصالح ومتقلبي الهوى ، وقد أتت هذه الحملة على الجموع الغفيرة مع مسلم ، مشتتاً إياهم وتاركه مع ثلة قليلة لا يستطيع بهم الاستمرار فيما عزم عليه .

وقد طلب منهم التفرق والانصراف حفاظاً على حياتهم من القتل تحسباً لفرصة أخرى أحسن لتحقيق النجاح .

خامساً: ان وعي مسلم قد دفعه الى استعراض القوة فقط أمام القصر لمجرد الإخافة والترهيب لعدوه ومن احتف معه وحوله ، كما انه اراد ان يعزز قناعة أهل الكوفة بقدرته على الاقناع واستقطاب الموالين والمحبين في خطوة قد توقع أهل النفوس الضعيفة والقلوب المريضة المنافقة للتفكير مليّاً قبل السعي للانضمام الى دنيا ابن زياد اللعين ، لأن هؤلاء وامثالهم تقدمهم مصالحهم ودنياهم ، والقوة تعزز

قناعتهم بان الدنيا وبقاؤهم فيها مع القوي وان لم تكن مصالحهم معه ، فكان الحصار بهذا العدد المهيب يدخل في هذه الخطوة لأن الناس مع من غلب أو قوي على طول التاريخ .

الاستفهام الثاني – هل سلَم مسلم بن عقيل الخاصة وأهل الإخلاص عمداً وخذلاناً – كابن عوسجة وابن مظاهر والشاكري والصائدي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي ، حتى بقى وحيداً غريباً ؟.
ولهذا الاستفهام أجوبة عدة منها :

الاول منها: إن الاستفهام يفترض ترك هؤلاء الخُلص له ، مع ان الأمر قد يكون – وهو الراجح – العكس ، فانه قد طلب منهم الانصراف ضناً[1] منه على حياتهم ، وإمكانية الاستعانة بهم في فرصةٍ أخرى .
ويستبعد من امثال هؤلاء الموالين لأهل بيت العصمة أن يتركوا سبيل الحق ولو كان فيه التضحية بحياتهم .

الثاني منها: ولعله مكمل للأول ، ان الضرورة قاضية في تفرق المجموعة في وقت الشدة والانحصار ، لأن انكشاف أمرهم وهم مجتمعون يستلزم القضاء عليهم جميعاً ، فاذا تفرقوا كان القضاء عليهم جميعاً الى حدٍ ما ضعيفا، فينجوا بعضهم على أقل تقدير ، والنتيجة أفضل من موتهم جميعاً فيما لو كانوا مجتمعين.
فالتفرق أجراء ميداني للحفاظ على بعض المجموعة .

---

(١) الضن هنا بمعنى الحرص .

.....

ومن الغريب ما ذكره الشيخ عبد الواحد المظفر (رحمة الله عليه)[١] فهو ينفس فيهم على الموت ويضن بهم على التلف لشرفهم وعظيم أقدارهم ، وكانت هذه شيمة أهل البيت (عليهم السلام) وأخلاقهم المرضية .

وغرابته : هي في ظهوره بجعل أهل البيت (عليهم السلام) ذا انتقائية واضحة في التعامل مع الناس ، فينفسوا بالشرفاء على الموت دون غيرهم ، وهي خلّة يجلّ أهل البيت (عليهم السلام) عنها، اذ تصرفهم وسلوكهم على عدم التفريق بين شريف ووضيع .

اللهم إلا ان يريد ان بقاء هؤلاء الشرفاء أكثر نفعاً ، وافلح حالاً للمجتمع من غيرهم ، ولكن تعبيره لا يساعد على هذا المعنى ، ومن الخُلق ان نعتذر للرجل (رضوان الله تعالى عليه) .

وما يذكره في كتابه[٢] من الشواهد التاريخية لتصرف أمير المؤمنين في صفين والحسنين (عليهم السلام أجمعين) ، وما كان يقوله لأصحابهم ، يؤيد ما استغربنا من كلامه .

الثالث منها: ما أجاب به سيدنا الأستاذ الشهيد (قدس سره الشريف) بعدما دفع جواب البعض (بأنهم اعدوا أنفسهم للشهادة مع الحسين عليه السلام)[٣] بان هذا وحده لا يكفي لأن حادثة الحسين عليه السلام كانت في ضمير المستقبل ولا علم لهم بحصولها ، فكيف يتعقل كونهم استهدفوها بطرحه .

وفُصِّل الجواب : ان المخلصين الكاملين كانوا قلة ، فلما رأوا فشل الحركة وتفرق الجيش عنه ، لم يشعروا بوجوب المحافظة عليه شرعاً،

---

(٢) سفير الحسين عليه السلام ، ص٨٧ .
(١) نفس المصدر السابق .
(٢) الشذرات، ص٢٩٨ .

لليقين بكونه مقتولاً لا محالة ، حتى لو كانوا هم الى جنبه ؛ بل سيقتلون معه أيضاً .

فمسؤولية الدفاع عنه والحفاظ عليه ساقطة يقيناً ، فخير لهم ان يحافظوا على حياتهم – وهم كوفيون يعرفون المدينة وطبيعة سكانها – وهو غريب جديد العهد بهذا المجتمع .

ويلاحظ عليه : أنه وقع فيما فر منه في جوابه على المجيب الأول بأن حادثة الحسين عليه السلام كانت في ضمير المستقبل .. فكذا حادثة قتل مسلم عليه السلام كذلك في ضمير المستقبل ، فكيف حصل لهم اليقين بها.

ولو تنزلنا وقلنا بحصول اليقين بقتله ، فهل يكون مبرراً لتركهم إياه، او انه مبرر مؤكد لبقائهم معه ، لاحتمال ضعيف بعدم حصول القتل، او لا أقل استبعاده لشخص مثل مسلم (عليه الرحمة) ، لأن اليقين هنا لا يريد به (اليقين الحقيقي) وانما هو (اليقين العرفي) أي الاطمئنان بحصول النتيجة ، وهو ليس كافياً بالتخلية عن وجوب المحافظة عليه .

ولو تنزلنا وقلنا بكفايته (أي كفاية اليقين العرفي) ، فان الاندفاع في الدفاع عنه ، يعني الدفاع عن عقيدته ودعوته لارجاع الحق الى أهله ونصرة أهل الرسالة والدين ، لا لشخص مسلم (عليه الرحمة) ، وهذا يعني انهم ينظرون الى القضية من جانب شخصي لا من جانب عقائدي مهم .

ولو تنزلنا وقلنا بان نظرهم من جانب عقائدي ، فان القتل مع مسلم قد يتسبب في نتائج لصالح الحسين عليه السلام ، فربما يؤجج أهل الكوفة ويرفع من حميتهم عن الاسلام والوقوف ضد الظلم والطغيان للوالي الأموي الذي لا يراعي لهم ذمة ولا جاهاً بقتله وجهائهم ورؤساء عشائرهم وأهل الشوكة منهم ، والشاهد عليه ما نجده في عشيرة مذحج

لهاني ، بعد ان اعتقله الوالي ، ولم يشفع له إلا خداعه لهم والتكذيب عليهم ببقائه حياً ، وهؤلاء لو قتلوا في مواجهة لم يمكن التخفي عن قتلهم وإثارتهم لمشاعر أهلهم بالرد في الأخذ بثأرهم .

وما ذكره بمعرفتهم بطرق الكوفه غير مفيد لكونهم من اهل الوجاهة والشرف ولايخطى امر امثالهم على العامه فيشار لهم بسهولة

ثم أضاف (قده) في جوابه : واما سبب محافظتهم على انفسهم فلا ينبغي الاشكال فيه في الدنيا والآخرة ، اما في الدنيا فواضح لصعوبة تعريض النفس للقتل ، وخاصة اذا كان بلا موجب وبشكل منتج ، واما في الآخرة – وأعني في التكليف الشرعي في الدين فلأن بقاءهم خير من موتهم لاحتمال ان يفيدوا المجتمع بقليل أو كثير ، وان لا تخلوا الساحة بالمرة لعبيد الله بن زياد وجماعته يفعلون ما يشاءون دون وازع أو ضمير أو رقيب أو حسيب .

ولنا عدة تعليقات :

التعليقة الأولى / ان صعوبة التعريض للنفس قتلاً ، صحيح ، لكن المفروض ان هؤلاء من المخلصين الكاملين ، ولا صعوبة عندهم في تعريض نفوسهم للقتل ، وليس بلا موجب ، فقد عرفت الموجب.

كما ان بقاؤهم افضل من موتهم فمجرد احتمال قد لا يوازي احتمال موتهم المنتج لانقلاب المجتمع على التمرد والعصيان على الوالي ، وبالتالي سوف لن تخلوا الساحة لابن زياد يفعل ما يشاء بدون رادع ، لأنه اذا لم يقض على التمرد لو حدث فلا أقل لا يتجرأ على التمادي في الغيّ لو خرجوا عليه ، لأن تراجع الضعيف يقوي القوي ، والعكس صحيح .

.....

ثم قال (قده) : مضافاً الى احتمال تأييدهم للحسين عليه السلام فانهم كانوا عالمين بانه مقبل عليهم وقريب الوصول إليهم .. فلعلهم يستطيعون رؤيته أو نصرته أو امتثال أمره .

وفيه : يأتي نفس ما أشكل على غيره من ان اين علموا أنه مقبل عليهم ، اذ لعله يتراجع بعد وصول خبر استشهاد مسلم عليه السلام وغدر أهل الكوفة به ، مضافاً الى نصرة مسلم عليه السلام هي بعينها نصرة الحسين عليه السلام، لوضوح ان الانتصار له وتهيئة اسباب انتصاره ، وانهاك الجيش الذي سيقابله اثمر نتيجة مما لو بقوا ينتظرون الامام عليه السلام .

على أنه يأت نفس ما اشكل على مسلم ، من اليقين بقتل الحسين عليه السلام والمفروض طبقاً لما قدمه مع مسلم ان يشعروا بعدم وجوب المحافظة على حياته شرعاً ، ولا اعتقده بل أجزم بعدم قبوله (قدس سره) لهذه النتيجة .

التعليقة الثانية / نعم لو كان قد قال أنهم وجدوا أنفسهم مخيرين بين الاستشهاد مع مسلم أو مع الحسين عليه السلام ، واختاروا الشهادة مع الإمام عليه السلام وهو أرجح وأفضل في الدنيا والآخرة .

التعليقة الثالثة / وعلى هذا فيبقى الجواب الصحيح هو طلبه منهم التفرق عنه ، وحينئذٍ فلا يرد أي أشكال .

الاستفهام الثالث – مع ملاحظة الحالة الطبيعية والنفسية للفرد البشري ، ففي حالة رؤيته للتقهقر الجلي على اصحابه وانصاره ، فمع صحة وحقانية الهدف الحامل له ، بان يتمسك بفرد يكون له سلوة في صراعه ، ولم تذكر هذه الحالة لمسلم عليه السلام .

.....

فنقول في جوابه : ان الكبرى التي ذكرت (انه يحتاج الى من يكون له سلوة) غير صحيحة ، لأن أهل طريق الحق – أي طريق الله – لا يهمه شيء في الوجود ، بقدر ما يهمهم هو سلوكهم للطريق المؤدي الى الله تعالى ورضاه ما دام الله راضياً عنه ، فهو الغاية التي ما بعدها غاية .

وهذا المعنى غير مختص بالمعصوم ، فهو وغيره سواء ولكل درجات من القرب ، ومن هنا نرى الامام الحسين عليه السلام يقول في الابيات المنسوبة إليه :

تركت الخلق طُراً في هواكا وايتمت العيال لكي أراك .

نعم الطبيعة البشرية لعامة الناس وبحكم تعلقهم بالاسباب الطبيعية واحكام علاقتهم بالامور الحسية ، يحاولون التمسك بما يكون له سلوة في كلامه ومشيه .

والوجه الذي أفهمه : لذلك هو ان تعزز قناعاتهم واتجاههم بسلوك فرد يكون مقبولا عند البعض من الناس بغض النظر عن اتجاهه وسلوكه ، يعتبر له مثلاً يتحدى به ، ويبرر به أفعاله وتصرفاته ، نعم أهل الحق لا يبتغون من الأسوة إلا الحسنة ، ذات العمق الروحي والنفسي العالي جداً ، بحيث يشكل محفزاً لهم ومحركاً لإرادتهم ورغباتهم للوصول الى ما وصل إليه والتمتع بامتيازات موقعه (الروحية والنفسية والفكرية بطبيعة الحال).

وان الصغرى غير صحيحة؛لان مسلما قد يتمسك بالحسين فهو الاسوة والقدوة له.

.....

ابن زياد ... ينجو :

ولما تفرق الناس عن مسلم بن عقيل طال على ابن زياد مكثه ، وجعل لا يسمع لصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع قبل ذلك ، فقال لأصحابه : اشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً ؟ ... فاشرفوا فلم يروا أحداً ؟

قال : فانظروا ، لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم !

فنزعوا تخائج المسجد ، وجعلوا يخفضون بشعل النار بايديهم وينظرون ، فكانت أحياناً تضيء لهم ، واحياناً لا تضيء كما يريدون.

فدّلوا القناديل واطناب القصب تشد فيها النيران ، ثم تدلى حتى تنتهي الى الارض ، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها ، حتى فعل ذلك بالظلة التي فيها المنبر .

فلما لم يروا شيئاً اعلموا ابن زياد بتفرق القوم .

عبيد الله بعد العاصفة

(.. ففتح باب السدة التي في المسجد ، ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه ، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة ، وأمر عمرو بن نافع فنادى : ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد .

فلم يكن إلا ساعة حتى أمتلأ المسجد من الناس ، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة وأقام الحرس خلفه وأمرهم بحراسته ، من ان يدخل عليه أحد يغتاله ، وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال:

(أما بعد .. فإن ابن عقيل .. قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله ديته.

اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم ، ولا تجعلوا على انفسكم سبيلاً .

يا حصين بن نمير : ثكلتك أمك ان ضاع باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتيني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك ، وأصبح غداً فاستبرء الدور،وجس خلالها ، حتى تأتيني بهذا الرجل ..)[1].

(١) الإرشاد ، ص٢١٣ – الأخبار الطوال ، ص٢٤٠ .

.....

المقام السابع

- مسلم في طريق الشهادة
- قصة طوعة
- الملحمة الهاشمية
- مسلم في مواجهة بن زياد
- مسك الختام

.....

مسلم . . في طريق الشهادة

(فصلى مسلم العشاء في المسجد ، وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً[١] ، فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً ، ومشوا معه.

فاخذ نحو كنده ، فلما مضى قليلاً التفت فلم يرَ منهم أحداً ، ولم يصب أنساناً يدله على الطريق ، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كندة ، فاذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها ، و ...)[٢] .

وهذا الدار كانت لأم ولد يقال لها طوعة كانت للأشعث بن قيس فاعتقها ، فتزوجها أُسيد الحضرمي ، فولدت له بلالاً [٣] ، وكان بلال قد خرج مع الناس ، وأمه قائمة تنتظره ، فسلّم عليها ابن عقيل فردّت عليه .

فقال لها : يا أَمة الله ، اسقيني ماءً !

فدخلت ، فسقته ، فجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت ، فقالت : يا عبد الله ، ألم تشرب !؟

قال : بلى .

قالت : فاذهب الى اهلك .

فسكت ثم عادت فقالت مثل ذلك ، فسكت !

---

(١) وفي رواية ابن اعثم الكوفي في الفتوح ٥/ ٨٧ – ٨٨ (أصحابه عشرة) ، وفي رواية المفيد في الإرشاد ، ص٩٤ – (أصحابه ثلاثون تفرقوا فبقوا عشرة) .

(٢) الأخبار الطوال ، ص٢٣٩ .

(٣) وقال صاحب الفتوح (وكانت فيما مضى امرأة قيس الكندي ، فتزوجها رجل من حضرموت يقال له أسد بن البطين فأولدها ولداً يقال له أسد) ، الفتوح ٥/ ٨٨ .

.....

ثم قالت له: فيء لله[١]! سبحان الله! يا عبد الله ، فُمَّر الى اهلك عافاك الله، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك!

فقام وهو يقول : يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك الى اجر ومعروف ؟ ولعليّ مكافئك به بعد اليوم!

فقالت : يا عبد الله ، وما ذاك ؟

قال : انا مسلم بن عقيل ، كذبني هؤلاء القوم وغرّوني !

قالت : انت مسلم ؟

قال : نعم ، فقالت : ادخل .

فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشى .

ولم يكن بأسرع من ان جاء ابنها ، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال : والله انه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه ! ان لك شأناً !!

قالت : يا بني ألهُ عن هذا .

قال لها : والله لتخبرني !! قالت : اقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء فألح عليها ، فقالت : يا بني لا تحدثنَّ أحداً من الناس بما اخبرك به !

واخذت عليه الأَيمان فحلف لها ، فاخبرته ... فاضطجع وسكت)[٢].

(ولما طلع الفجر جاءت طوعة الى مسلم بماء ليتوضأ ، فقالت: يا مولاي ما رأيتك رقدت في هذه الليلة !؟ فقال لها : اعلمي اني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : الوحا الوحا ، العجل العجل !

---

(١) الظاهر أن هنا كلام ساقط ، وربما انه اعترض عليها (بأنه جالس في فيء الله لا لأحد) .

(٢) تاريخ الطبري – بتصرف يسير ٣/ ٢٨٨ ، ويغايره ..... ما عن الفتوح ٥/ ٨٩ .

.....

وما أظن إلا انه آخر أيامي في الدنيا) [١] .

مسلم في أزقة الكوفة :

يبقى سؤال قد يخطر في الذهن : (وهو ان مسلم بن عقيل عليه السلام لماذا بقي متلدداً في أزقة الكوفة ، وقد كان من الأفضل له ان يلتجيء الى بيت أحد الثقاة من أصحابه ، او ان يخرج الى البر ويلتحق بالأعراب فلا يعرفه أحد)[٢] ، ويمكن الإجابة عنه بالتالي :

الأول: ما ذكره السيد الأستاذ الشهيد (قدس سره) من ان مسلماً (سلام الله عليه) رجل غريب في الكوفة لا يعرف بيوتها وطرقاتها ، وقد كان أصحابه يقصدونه من منازلهم ، وهو لا يعلم اين تقع ، ولم يكن خلال هذه المدة التي عاش فيها في الكوفة متيسراً له المشي في الطرقات والتعرف على البيوتات ، لأنه كان بمنزلة القائد ، فلا بد له من البقاء في مركزه ويشتغل له الأتباع فقط .

وفيه : انه جعل عدم معرفته بالبيوتات والطرقات سبباً لتلدده في الطرقات مع امكانه التعرف عليها بالسؤال والاستفسار على ان لا يظهر بصورته وشخصيته المعروفة في السؤال ، كي لا يتخوف المسؤول في إجابته أو التدليل عليه للسلطات فلم تكن معرفة الطرقات والبيوتات متعذرة عليه .

---

(١) نفس المهموم ، ص٩٩ عن المنتخب للطريحي ، ص٤٦٢ المجلس التاسع من الجزء الثاني .
(٢) عرضه السيد الشهيد (قده) في أضواء على ثورة الحسين ٢٠٤ وصفحة ٢٩٩ .

.....

وإنما لم يسأل كي لا يتعرف عليه ويصل خبره الى السلطات ، خصوصاً أن ابن زياد قد نشر العيون والجواسيس في معظم طرق وأزقة الكوفة وبيوتات الشخصيات المهمة التي من الممكن ان يلتجيء إليها مسلم عليه السلام .

وعليه فلا بد من سبب آخر يجعله كذلك ، وهو ان يقال : انه قصد التخفي والتستر بعيداً عن انظار العيون وجلاوزة ابن زياد ، لعله يبقى مدة الى حين قدوم الحسين عليه السلام بعد ان كتب الى الامام عليه السلام بالقدوم الى الكوفة[١] ، فكان تلدده لإيجاد مخبأ ، عله يتشرف بالحسين عليه السلام والدفاع عنه والاستشهاد بين يديه .

ويؤيده انه قد ترك جواده ومشى راجلاً وكان بامكانه ترك الكوفة وهو على جواده ، ويتخلص من مناطق المسلحة والعيون ، ذلك لأن الكوفة آنذاك مترامية الأطراف واسعة المساحة ويحيط بها مزارع وبساتين من معظم الجهات ، الأمر الذي يسهل خروجه وابتعاده عن عيون ابن زياد .

الثاني: ما ذكره (قدس سره الشريف) أيضاً[٢] : انه لا يوجد في ذلك الحين من أصحابه من يستطيع حمايته على الإطلاق ، لأن بعضهم كان قد سجن كهاني والمختار بن ابي عبيدة الثقفي

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٢) وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى (خطوانية) فجاء بمواليه يحمل راية خضراء ، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء ، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث ، وقال :(اردت ان امنع عمراً !! ووضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهاني (رض) واشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا ، وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل ، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد ان شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه ، وبقيا في السجن الى ان قتل الحسين عليه السلام - مقتل الحسين للمقرم ١٥٧ – ١٥٨ .

.....

وآخرون[١] ، اذن فدورهم مغلقة في وجهه وهم منكوبون قبل نكبته ، وبعضهم مطارد ومراقب ، وسهل على الحكام من ان يجدوا مسلماً في بيت أحد اصحابه ، فانها ارجح لوجوده ، بخلاف ما اذا تخفى في محل غير ملفت للنظر كما فعل .

أقول: وحده لا يكفي ، اذ لا يعقل تخفيه لمجرد التخفي ، بل لا بد ان يكون التخفي مقدمة لشيء آخر ، وهو ما ذكره في الأمر الأول من انتظار سيده ومولاه الحسين عليه السلام ، أو لتحين الفرصة المناسبة للخروج من الكوفة .

إلا ان هذا الاخير كان متيسراً له في بداية الامر وهو يملك جواده بالنظر لما عرفته من سعة الكوفة وامتدادها لمسافات واسعة.

الثالث: انه يمكن ان يقال انه عليه السلام تعمد التلدد في أزقة وطرقات الكوفة ؛ للتعريف بقضيته ، وكشف زيف إدعاءات الناس الذين كتبوا للحسين عليه السلام بالقدوم بعد ان نفهم انه ليس كل الناس قد وصلتهم أخبار مسلم بتفاصيلها ، فاما لم تصل الى المعظم منه أو وصلت ناقصة أو مشوهة أو مطعون في قصده وغرضه ، لأن السلطة آنذاك كانت لا تسمح بالحديث عن أخباره والوقوف على أمره ، خوف اشتهاره وتقوية شوكته واقتناع الناس به ، أو كانت ترصد الحركات والكلمات مراقبة للوضع ، وهي بالتأكيد لا تسمح بالحديث عن مسلم وحركته ، وهذا ديدن الطغاة على مرّ العصور .

فكان خروجه اتماماً للحجة عليهم وقطع طرق الاعتذار عنهم (ليحيى من حيَّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة) فاراد إيصال

---

(١) أضواء على ثورة الحسين ، ص٢٠٥ – المستوى الثالث .

.....

صوته الى أكبر عدد ممكن من الناس كي لا يعتذر البعض باننا لم نسمع بدعوتك لنستجيب لها ، وخروجه عن الكوفة لا يحقق له هذا الغرض ، بقدر ما يعرضه للنقد والتشكيك .

لأن من يريد الحق ويطلب العدل ، لا يطلبه مع الامن خاصة بل معه ومع اليقين بالموت في سبيله ، وسوف يكون عُرضة للنبز والتشهير بكونه من طلاب الجاه والسلطة ، لا انه من طلاب الحق والعدل كما يدعيه ويطلبه بدعوته .

العمالة .. هل كانت في الحسبان :

ألم يكن في حساب مسلم بن عقيل عليه السلام ان يكون في الدار الذي سيستجير به عيون وأعوان لابن زياد ، أم لا [١] ؟ .

أولاً: ما ذكره سيدنا الأستاذ الشهيد (قده) : (من عدم بديل غيره ، وأما بيوت اصحابه فلم يكن يعرف الطريق إليها ، مضافاً الى ما قلناه من انهم يطلبوا منه ذلك فكيف يدخل عليهم ، واما خروجه الى البرية ليلاً وحده فهو أشد خطراً ولا يعرف الطرقات والشوارع الرئيسية ، وليس له مقصد معين يقصده ، وليس في الاطراف إلا الرعاة والفلاحين ، ولا توجد مدينة كبيرة إلا البصرة ، وهي بعيدة جداً مضافاً الى كونها ليست أقل خطراً من الكوفة عليه .

مضافاً الى إمكان التعرف عليه في المحارس ، وان لم يكن قد أمروا فوراً بالقبض عليه ، الا انهم يعلمون ما يحدث في داخل الكوفة فلربما منعوه عن الخروج أو قتلوه ، ونحو ذلك)[٢].

---

(١) الشذرات ، ص٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص٢٩٩ – ٣٠٠ .

.....

وهذا الجواب غير تام ، وكأنه جواب عن سؤال لم اختار دار طوعة خاصة ، مع ان السؤال عن احتمال ان يكون أحد معارفها عميلاً للسلطة فيكون اختيار مسلم لدارها خطأً فادحاً .

ويمكن أن نجيب بالتالي.

الثاني: أن احتمال كونهما من أعوان السلطة وارد، ولكنه كونهما من الموالين كذلك بعدما عرف من حسن ضيافة المرأة وتقديرها له وتفاعلها مع قضيته، ومع تساوي الاحتمالين ان لم نقل بالثاني فهو أرجح في نظر مسلم، ولم يكن لذلك الحساب وجه .

الثالث: ان مسلماً كان عازماً على الخروج من الدار بعد مضي ليلته تلك ولم يكن من رغبته البقاء اكثر ليقينه بأنه مطلوب من السلطة وبقاؤه مع المرأة في بيتها غير مستحسن ومحرج له ولها اجتماعياً وشرعياً .

واحتمال كون ابنها أو زوجها[1] عميلين للسلطة وارد عنده ، لكن يندفع بـ(اما عدم معرفتهما بمجيئه للدار لأنها ادخلته ولم يعرفان به ، وانما عرف ولدها بعد ذلك حينما رأى والدته الصالحة تتردد على إحدى غرف الدار .

واما ان معرفتهما سوف لن تؤثر عليه لأنه راحل غداً صباحاً لا محالة وسوف يكون له متسع من الوقت للهرب من أعين السلطة.

---

(١) وزوجها(أسيد بن مالك) شرطياً عند ابن زياد ومن حرسه الخاص ، وشهد حرب الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد ، وصدرت منه أعمال خبيثة ، واشترك في قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، وفي رواية بحار الأنوار : كان أحد العشرة الذين داسوا جسد الحسين عليه السلام بحوافر الخيل وهؤلاء العشرة أخذهم المختار فبطحهم أرضاً وضرب في أيديهم وأرجلهم سكك الحديد وأجرى عليهم الخيل وهم أحياء فقطعتهم بحوافرها (عبد الواحد المظفر – سفير الحسين – الهامش (١) ص٩٤) .

.....

الرابع: ان العمالة عند معظم أهل الكوفة غير خفية على مسلم ، فهي واردة احتمالا عند كل من يصادفه مسلم ، إلا ثلة قليلة من المؤمنين المخلصين ، وما دام الاحتمال وارداً على سعته لمعظم أو اغلب اهل الكوفة فلا بد من التعامل معه بموضوعية سواءً (جاء من زوج أو ابن طوعة – أو غيرهما).

قصة طوعة . . . والاعتبار التاريخي

وليس بين أيدينا سند نقل هذه القصة لنحكم عليها سنداً ، وعليه يمكن ان يقال انها (مرسلة) والإرسال ضعف ، فلا تكون معتبرة من هذه الجهة ، إلا ان هذا المقدار لا يكفي في القطع بالحكم ، بل لا بد من ملاحظات قرائن أخرى قد تفيد الاطمئنان بصحة الخبر وإن كان مرسلاً .

فمن القرائن : ان المصادر التاريخية القديمة والمعتمدة كالإرشاد للشيخ المفيد أعلى الله مقامه ، والكامل لأبن الأثير وغيرها من كتب المؤرخين الضاربة في القدم، والقريبة من الحدث الحاصل ، قد نقلت تلك الحادثة وبصورة متقاربة الا من ناحية الاختلاف في بعض التفاصيل غير المؤثرة في صحتها ، واتفاق هذه المصادر التي ليس لنا غيرها ، فهذا موجب للظن بصدقها .

ومن القرائن : هو التسامح في روايات الأخبار وأحداث التاريخ كما هو ديدن المتشرعة في الكثير من حوادث التاريخ والتشديد في السند مختص بروايات الأحكام .

واما روايات النقل لحوادث التاريخ فلا نجد تشددهم فيه ، اما باعتبار الشهرة لهذه الأخبار وانتشارها بين أوساط المجتمع المعاصر للمؤرخ بحيث تكون مشاعة الى درجة الظن المتاخم للعلم بصحة حدوثها .

.....

وأما باعتبار (التسامح في ادلة السنن)[١] التي يقال بإمكان تطبيقها على حوادث التاريخ أيضاً ، وان كنا لا نوافق على هذا الاجراء ؛ بل ينبغي إخضاع حوادث التاريخ لضوابط السند في تصحيح كثير من حوادث تاريخنا ، مع علمنا ان التاريخ يكتبه السلاطين أو اصحابهم بما يوافق اهواءهم وتوجهاتهم ، فقد عهدنا مثل ذلك في عصرنا الحاضر .

إلا ان يقال بصعوبة المهمة في هذه الأزمنة المتأخرة وانقطاع معرفتنا بالتاريخ لو فتح باب المناقشة لمعظم حوادثه وهذا ما اشار إليه الأستاذ الشهيد (قدس سره الطاهر)[٢] .

ومن القرائن : انه لم يكذب هذه الواقعة من المؤرخين المشهورين أو اصحاب الرأي والتفكير ، ومن عدم التكذيب سيكشف صحة الخبر أو لا على أقل عدم الاطمئنان بعدم وقوعه.

وما ذكره السيد الشهيد الأستاذ [٣] من القرائن الدالة على الصحة – منها انه هوجم في بيت طوعة ، وذهاب ولدها لأخبار ابن زياد واتباعه، وارسال ابن زياد لمجموعة من الجند للقبض عليه أو قتله ، هو أول الكلام لأن الحديث عن صحة خبر لجوئه الى بيتها وإطلاع ولدها على السر .

وهناك قرائن تنفي صحة الخبر ، ذكرها الشهيد الصدر وأجاب عليها [٤] ، وان كانت مدخولة بما ذكره في أول الكلام .

---

(١) قاعدة يعتمد فيها على تصحيح بعض الاخبار الدالة على السنن فيثبت الاحتياط الاستحبابي او الاستحباب الشرعية ، فراجع دروس في علم الأصول ، للشهيد محمد باقر الصدر ، وغيرها من الكتب الأصولية .

(٢) الشذرات ، ص٣٠١ .

(٣) المصدر السابق ، ص٣٠١ .

(٤) الشذرات ، ص٣٠٠ – ٣٠٣ .

.....

وذكر : ان كونها امرأة اجنبية على مسلم عليه السلام يجعلها في حذر من دخوله الى الدار .

وأجاب عنه : انها لم تدخله الا بعد ان استوثقت من حقيقته ، وقد عرفها بنفسه ، ولربما شرح لها قصة فشله..

أقول : وهذا غريب ، لأن التحذر من دخول رجل اجنبي موجود سواء أكان عالي المقام أو لم يكن ، مع رفض العرف العشائري والاجتماعي الحا كم في مثل تلك القضايا اذا أغمضنا النظر عن انه خلوة محرمة شرعاً ، ولو عند مسلم العارف بالحكم.

وقد ذكر : ان الانفراد بين الاجنبيين حرام شرعاً [١] .

وأجاب عليه بـ

(**أولاً**) : انها لم تكن متفقهة بهذا الحكم (كاطروحة) ، وأما هو فلم يعلم بالصغرى ، فلعل في البيت أطفال أو زوج فلا يحرم [٢] .

ولكن في جوابه : ان عدم معرفته بالصغرى غير مسلَمٍ بعد المحاورة التي جرت بينهما عندما وجدته واقفاً في بيت الدار ، والبناء على الاحتمال في مثل هذا الحكم لا يناسب مسلم عليه السلام .

ولو لم تكن في هذا الجانب أي حرمة ، سقط في تكاليف محرمة أخرى ، ومنها التصرف بدار الغير بلا اذنه ، فان علم بوجود الزوج لم يجز له الدخول إلا بعد الاستئذان منه ، وإن علم بعدم وجوده كان في خلوة محرمة .

---

(١) هو تعريف قريب للخلوة المحرمة .
(٢) الشذرات ، ص٣٠٠ – ٣٠٣ .

.....

(**ثانياً**) : أن الدخول محلل للاضطرار [١] .

وهذا الجواب غير تام ، لأن الرفع الاضطراري له لا لها ، فيبقى فعلها على الحرمة ، الا اذا قيل بانها غير متفقهة لمثل هذا الحكم فلا مؤاخذة ، ولكن تبقى مؤاخذة العرف العشائري المانع لذلك ، والمفروض من مسلم وهو العارف بانساب العرب وعاداتهم وتقاليدهم ان يراعي هذا الجانب للمرأة .

تأمل وملاحظة :

الأول – حرمة الخلوة بين الأجنبيين .

وهذا ما تجده في الجواب السابق الذي استعرضنا ما نسميه قرينة مانعة عن صحة النقل التاريخي لاستضافة المرأة لمسلم عليه السلام.

واما صحة ما نقله صاحب كتاب سفير الحسين [٢] ، والذي هو : (ويذكر في فضائل السادات أنها هاشمية ، أي مولاة لبني هاشم ، فيذكر في حديث وقوف مسلم على بابها ، فقالت المرأة ، وكانت تسمى طوعة: وأي الناس انت يا هذا ؟ قال : من بني هاشم ، من أعلاها شأناً وارفعها مكاناً ، من آل محمد (عليهم السلام) فقالت : ما أسمك ؟ قال: أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، فقالت : وأنا والله هاشمية وأنا أحق من أجارك ....) .

وهذا النقل لم يمكنني التحقق منه ، وعلى هذا فهو خبر آحاد أنفرد به من الكتاب عنه ، وعلى ان نفس الكتاب لم يتوفر عندنا لنطّلع

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٠٠ – ٣٠٣ .

(٢) للشيخ عبد الواحد المظفر ، ص١١٧ .

.....

عليه ، ولكن ربما كانت تقصد بانها هاشمية ، أي انها كانت مولاة لبني هاشم ، وربما كانت معاملتهم لها من الكرم والتقدير ما جعلها تتذكرها بمجرد سماعها كون الرجل هاشمياً ، فأحبت ان ترجع بعض فضائل القوم عليها رداً بالاحسان لإحسانهم ، ولعل هذا هو الاوجه في سرعة قبولها دعوته في المبيت هذه الليلة عندها وهي لم تلتفت الى التكليف الشرعي في هذه الحالة .

إلا انه يمكن ان يقال : ان هنا تكليفين متزاحمين ، وجوب المحافظة على حياة مسلم بالسماح له بالمبيت ليلاً عندها ، وحرمة دخوله الدار (اما باعتبار الخلوة أو التصرف بالدار بلا اذن صاحبها) والظاهر ان المتقدم هو الاقوى ملاكاً ، والذي هو وجوب المحافظة على حياة مسلم ، وبهذا التقديم يسقط كلا التكليفين الآخرين عن الفعلية وتنجيز الذمة .

الثاني – انها تعلم ان ولدها عميل لقصر الأمارة ، فكان لزاماً عليها أن تعتذر من مسلم بن عقيل في ضيافته ، وان إدخاله في بيتها خطر عليه ، وليس فيه استجارة عملياً وهو حصل فعلاً [١] ، وفوق ذلك حال زوجها [٢] !!

ولكن احتمال ان لا يشي بمسلم وقد استجار أمه ، لإمكان تأثيرها عليه وإقناعه بقبح هذه الفعلة لو أراد أن يشي بمكان جلوسه احتراماً لموقع أمه وتصرفها ، أو توقعها عدم تجاوز تصرفها واحترامه لفعلها مع توقع الإضرار بأمه ، والولد لا يفعل ما يضر بأمه ، ولو كان به نفع دنيوي ومكسب مادي ، ولكنه حين يتعارض أو يتسبب للاضرار

---

(١) الشذرات ، ص٣٠٣ .

(٢) وهذا ما ذكرناه فيما سبق فراجع .

بأمه فانه يمتنع عن فعل ما يؤديه ، وقد توقعت على أقل تقدير ذلك منه.. **هذا أولاً.**

وثانياً: ان ابنها الخبيث لم يكن وقتئذٍ في الدار عندما طلب منها مسلم أن تستضيفه هذه الليلة ، وقد كانت تنتظر ولدها ، فلعلها قد توقعت أن ابنها لم يأت الليلة ، أو انه ان أتى فسوف لم يلتفت الى مسلم عليه السلام لأنها تكون قد مهدت له في بيت منفرد .

مضافاً الى انها رأت انه من الخير ان تفي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أجر رسالته بإيواء هذا البطل الحر الكريم ، لعل الله يحدث له بعد ذلك أمراً .

وثالثاً : ما ذكره السيد الأستاذ (قدس سره) [1] من أنها كانت عاميّة وبسيطةولا تدرك هذه الأمور الاجتماعية والسياسية ، أو انها يمكن ان تغفل عنها أو تتساهل فيها وتتناساها من ادنى ملابسة .

وهذا غير مفيد : لأن المرأة ومن خلال حوارها مع مسلم بعد شربه للماء دلّ بوضوح على فهمها للأمور الاجتماعية ، وعدم بساطتها أو في إدراكها ان العرف يستهجن ولا يقبل هذه الامور بل دلّ على انها متفقهة الى درجة ما .

كما ان خبر مسلم بن عقيل لم يكن ليخفى على اهل الكوفة ، لا اقل عليها بالذات لكون زوجها من شرطة ابن زياد ، وابنها يعمل في قصر الإمارة واخبار ما يحدث تنقل إليها منهما على أقل تقدير .

نعم ، ما ذكره (قدس سره الشريف) في ذيل الجواب ، هو انها عرفت انه شخص من اهل البيت (عليهم السلام) فاخذتها الهيبة والتفكير في شأنه [1] .

---

(١) الشذرات ، ص٣٠٣ .

.....

ورابعاً : ما ذكره (قدس سره الشريف) [٢] انها تعلم بعلاقته بالقصر المشبوهة ، ولكنها لا تعلم نوع العلاقة ما هو ؟! فهل هي من قبيل التجسس واعطاء الاخبار او شيء آخر له جهة اقتصادية او جهة اجتماعية ، فحينما تجهل عمله ، فانها تجهل انها سوف يعطي خبر مسلم بن عقيل .

وهذا غير متوقع لاننا لا نتكلم عن الظهور كي يقال ان الاحتمال او الاحتمالات المذكورة مانعة عنه ، بل نتكلم عن أمر خطير واي احتمال مهماً كان يجب الحذر منه والاتقاء عنه ، وعليه يكون مجرد علمها – بعمل ولدها بالقصر – دافعاً قوياً لها لتلهيه عن امر مسلم أو تنكره بالتمام .

نعم ما ذكره (قدس سره) أخيراً [٣] ، من انها ظنت انها بالمواثيق والأيمان تسيطر على ولدها ، وقد حملته على ذلك فعلاً واعطاها ما تريد فعلاً ، الا ان ذلك لم يؤثر فيه ، فهو الصحيح لأن المجتمع المسلم منذ القدم والى الآن يطمأن بالأيمان والمواثيق التي يأخذها على الآخرين ولكنها قد تنفع أحياناً وأخرى لا تنفع مع ممن لا دين له .

واما كون زوجها شرطياً ، فقد لا يكون في الدار كما لم يكن ابنها كذلك حينما دخل مسلم دارها ، ولو كان قد أتى وعلم بمسلم لما فوت الجائزة عن نفسه ، وأما افعاله مع الحسين عليه السلام وذكر بعض المؤرخين [٤] كونه احد الذين داسوا جسد الحسين الطاهر بخيلهم ، فهو أمر مستقبلي لا يمكن العلم به أو توقعها له .

---

(١) قال في الشذرات /٣٠٤ : (ولعل ذهنها انشغل بشيء آخر ، وهو إنها عرفت إن شخص ما من أهل البيت (عليهم السلام) واقف على بابها فأخذتها الهيبة والتفكير في شأن مسلم بن عقيل عليه السلام).

(٢) المصدر السابق .

(٣) الشذرات ، ص٣٠٤ .

(٤) عبد الواحد المظفر في كتابه سفير الحسين عليه السلام ذكره في الهامش (١) صفحة ٩٤ .

.....

الثالث – هل كان من الأفضل إخبار الابن ، أم إخفاءه ؟

قد رأت – بعد ان الفتت الى ترددها على بيت مسلم للاطلاع على حاجاته وتقديمها له أداءً لحق الخدمة والضيافة ابنها الى امر ما-ان اخباره افضل من عدمه ؛ لأن في إخباره احتراماً لشخصه وتوثيقاً لرجولته وعقله ، وان إخباره بالامر سيضعه في موقع المسؤولية امام أمه أولاً وأمام ضميره ثانياً ، تمنعه من الوشاية بمسلم السفير عليه السلام لانها – أي الوشاية – تعني الوشاية بأمه ، وانها آوت مسلم الذي يطلبه الأمير ابن زياد .

كما ان اخفاء الامر قد لا يكون ممكناً في دار طوعة ، واذا لم يكن ممكناً إخفاء أمره على الابن المتمرد ، فاخباره أفضل ليكون في حراجة من أمه ، وأشفاقاً لضيفها .

ولو صادف وجود مسلم في الدار ، من غير إخبار أمه فسوف تأخذه الشكوك بعيداً ، وتوقعه الظنون الى أمور ليست بمصلحة مسلم عليه السلام فضلاً عن مصلحة أمه ، لأن ادخال رجل غريب عن الدار فيها ، مما لا يقبله العرف القائم آنذاك ؛ فأرادت باخباره انقاذ سمعة مسلم عليه السلام التي ستتخذها سلطة ابن زياد متكئاً يشين به الى سفير الحسين عليه السلام ، بل ستسيء الى الامام عليه السلام نفسه ، وليس ذلك ببعيد عن الاسلوب الأموي [1] ، فهي تمثل الفرصة التي يبحث عنها الدعي ابن الدعي للنيل والطعن بمسلم وخُلُقه .

الرابع – ما هي دوافع الإبلاغ عن وجود مسلم بن عقيل عليه السلام .

---

(١) والذين أساءوا سابقاً الى والده عقيل بن أبي طالب (رضوان الله تعالى عليهما) ، وما سنعرفه من طعن من ابن زياد على مسلم عليه السلام الآتي حينما يطعنه بشرب الخمر وتفريق الناس وزرع الفتنة .

عندما يغيب الدين وتأثيره في سلوك الفرد ، لا يبقى أمامه إلا الدنيا ومتعها ومتاعها، وطريقة الوصول إليها والاستمتاع بها ، وليس لها إلا المادة الصفراء والبيضاء ، وهما مما وعد ابن زياد لكل من يأتيه بخبر مسلم بن عقيل عليه السلام .

وهذا الوزغ ابنها ممن لا دين له ، فلم يبق أمامه من مانع يمنعه في اقتناص الجائزة - وان جلبت له العار الدنيوي - ، وهو معدوم في ظرف ابن زياد ، او النار الاخروية وهو غافل عنها.

واذا لم يكن لأجل الجائزة ، فلأجل عمله في قصر الإمارة كعميل ، وقد قام بوظيفته تلك ،او أراد ان يتزلف إليهم اذا لم يكن مأموراً بالتسليم ، كما احتمله السيد الشهيد [١] .

والخوف من ابن زياد من خلال تهديده بقتل من يعرف أن مسلماً في بيته ، كان هذا الخوف هو المحفز للإبلاغ عن مسلم لكفاية الشر المبطون به ابن زياد ، وقد ذكره السيد الأستاذ وذكر[٢] أيضاً : (ان نلاحظ ان الذي اجار مسلم هو أمه ، فهو يشعر انه غير مسؤول عنه من ناحية الاستجارة ، وبالتالي لا تكون موضوعاً للعرف العشائري بالالتزام بها من دون رادع من دين او دنيا) .

ولا يمكن المساعدة عليه ، لأن العرف العشائري القائم آنذاك لا يفرق بين كون المجير هو أو أمه ، ما دام المستجير موجوداً في بيت يجمعهما ولا زال هذا العرف قائماً فكما تؤاخذ الأم على عدم الاحتكام بالمصير الى العرف العشائري فكذا هو يُدان .

المهم الا ان يقال ، لعله يعتقد بان الاحتكام الى العرف هو للمجير نفسه – ولا يشمل غيره ولعل هذا هو مراد السيد الأستاذ ، ولكنه بهذا الاعتقاد لا يقاوم العرف القاضي بالمؤاخذة.

---

(١) الشذرات ، ص٣٠٤ – ٣٠٥ .
(٢) المصدر السابق .

.....

واغرب منه ما ذكره السيد الشهيد (قدس سره) : (ان التسليم الى السلطات كان مستثنى من العرف العشائري)[١] ولا يقول به أحد ، نعم لو قال بدوران الأمر بين أهون الشرين كان التسليم أهون ، ولكن لا يكون مستثنى من العرف العشائري ، لأن المؤاخذة تبقى ملازمة له ، وقد عشنا جميعاً أمثلة من هذا النوع .

(١) الشذرات ، ص٣٠٥ .

الملحمة الهاشمية

(واقبل ابن تلك المرأة – التي مسلم بن عقيل عليه السلام في دارها – الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فخبّره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه ، فقال له : اسكت ، الآن ولا تُعلم بهذا أحداً من الناس [١]) .

ثم أقبل عبد الرحمن الى أبيه[٢] - عند مجلس ابن زياد – فسارّه في أذنه ، وقال :إن مسلماً في دار طوعة ! ثم تنحّى عنه.

فقال عبيد الله بن زياد : ما الذي قال لك عبد الرحمن ؟!

فقال : اصلح الله الأمير ، البشارة العظمى !

قال : وما ذاك ؟ ومثلك من بشّر بخير !؟

فقال : ان ابني هذا يخبرني ان مسلم بن عقيل في دار طوعة ، عند مولاة لنا .

فسُرَ بذلك وقال: قم فأت به، ولك ما بذلت من الجائزة والحظ الأوفى!

ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي ان يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه[٣] !

---

(١) لا شك ان عبد الرحمن أمره بكتمان ذلك طمعاً في أن تكون الجائزة له ولأبيه .

(٢) فلما أصبح ابن زياد جلس مجلسه ، وأذن للناس فدخلوا عليه واقبل محمد بن الأشعث ، فقال : مرحباً بمن لا يستغش ولايتهم ! ثم أقعده الى جنبه ، الإرشاد ١٩٦ .

(٣) وفي رواية الدينوري (ان عبيد الله بن زياد امر ابن حُريث ان يبعث معه مائة رجل من قريش ، وكره ان يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية ان تقع) الأخبار الطوال ٢٤٠ . وفي رواية الطبري (أمره ان يبعث معه ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس ، وانما كره ان يبعث معه قومه لأنه قد علم ان كل قوم يكرهون ان يصادف فيهم مثل ابن عقيل) ، ٣/ ٢٨٩ .

.....

فركب محمد بن الاشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل عليه السلام [١] . فلما سمع وقع حوافر الخيل واصوات الرجال عرف انه قد أُتي ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار !

ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك ، فأختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا واشرع السيف في السفلى ونصلت ثنيتاه فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه!

فلما رأو ذلك اشرفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فاخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب ثم يقلبونها عليه من فوق البيت ! فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتا بسيفه في السكة فقاتلهم .

فأقبل عليه محمد بن الاشعث ، فقال : يا فتى !! لك الأمان لا تقتل نفسك [٢] !

فأقبل يقاتلهم ويقول :

أقسمت لا أُقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل أمريء يوماً ملاقٍ شراً ويُخلط البارد سخناً فسرّاً
ردع شعاع الشمس فاستقرا أخاف ان أُكذب أو أُغرا

فقال له محمد بن الاشعث : إنك لا تكذب ولا تخدع ولا تغر ! ان القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك !

وقد اثخن بالحجارة وعجز عن القتال ،فاسند ظهره الى جنب تلك الدار ، فدنا محمد بن الاشعث منه ، فقال : لك الأمان .

فقال آمن أنا .

---

(١) الفتوح ٥/ ٩١ – ٩٢ .

(٢) كان صاحب اقتراح الأمان هو ابن زياد نفسه حينما قال لأبن الاشعث (أعطه الأمان فانك لن تقدر عليه إلا بالأمان) الفتوح ٥/ ٩٤ .

.....

قال ابن الاشعث : نعم ! وقال القوم : أنت آمن !

غير ان عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فانه قال : لا ناقة ليّ في هذا ولا جمل وتنحّى .

وقال ابن عقيل : أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم !

وأُتي ببغلة فحُمل عليها ، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه ، فكأنه عند ذلك آيس من نفسه ، فدمعت عيناه ، ثم قال : هذا أول الغدر !

فقال ابن الاشعث : أرجوا أن لا يكون عليك يأس !!

قال : ما هو إلا الرجاء !؟ اين أمانكم !؟ إنا لله وإنا إليه راجعون وبكى .

فقال عمرو بن عبيد الله بن عباس : ان من يطلب مثل الذي تطلب ، اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك !؟

قال : إني والله ، ما لنفسي أبكي ، ولا لها من القتل أرثي ، وان كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكن ابكي لأهلي المقبلين إليّ أبكي لحسين وآل الحسين !

ثم أقبل على محمد بن الأشعث ، فقال : يا عبد الله ، اني اراك والله ستعجز عن أماني ! فهل تستطيع ان تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً ، فاني لا أراه الا وقد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً هو وأهل بيته،وان ما ترى من جزعي لذلك ! فيقول ان ابن عقيل بعثني إليك ، وهو في ايدي القوم اسيراً لا يرى ان تمشي حتى تقتل ! وهو يقول ارجع فلا يغرك أهل الكوفة ، فانهم اصحاب ابيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، ان أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني ، وليس لمكذوب رأي .

فقال ابن الاشعث : والله لافعلنَّ ، ولأعلمنَّ ابن زياد اني قد آمنتك! [١] .

خيارات مسلم :

لو قيل لِمَ لم يستسلم ابن عقيل عليه السلام منذ البداية للجيوش المقاتلة له؟ أو يُقاتل حتى الشهادة !!

ولنا في هذا الأمر التالي :

اولاً: انه قاتل حتى الشهادة ، ولكن لم يصبها وهو ينازل ويقارع الاعداء، حتى أخذه الجهد وأهلكه التعب وانهكه العطش وشدة الضرب، ومع ذلك كله نزيف دمه من جراحاته لإطنان النار ، كما يقول بعض المؤرخين [٢] .

ولم يكن من اخلاقه وشيمّه – وهو من اهل دوحة الشجاعة والرجولة – ان يستسلم او يعطيهم بيده اعطاء الذليل ، فظل يصارعهم الى ان وصل الى حالة لا تحتمل بحسب الطبيعة البشرية ، وقد وقف بعد الاجهاد والاعياء كي يستريح قليلاً ، وهو متضرعاً الى بارئه داعياً (اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا) وتقذف عليه من كل جانب السهام والحجارة النار ، فلم يمهل للاستراحة ، بل عاجلوه بالنزاع .

ثانياً: انه صار بين أمرين بعد ان لم يرزق بالشهادة في ميدان المنازلة، وقد كان تواقاً لها ومقبلاً عليها ، فكان بين أن تقبض عليه

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٩ – ٢٩٠ ، والإرشاد ١٩٧ ، ومقاتل الطالبيين ٦٩ – ٧٠ .
(٢) سفير الحسين للمظفر ، ص١٠٨ .

.....

اياديهم ، وهو مما لا يروق له ولا يليق بشأنه ، ومثله لا يصل إليها ولا تخطر بباله، وبين ان يقبل الأمان الذي اعطوه إياه ، وقد إنقاد له بعد العهود والمواثيق المغلظة .

ومن الواضح ان الثاني أفضل من حيث النتيجة لاشعاره بعدم تغلبهم عليه مع كونه وحيداً ، وكشفه غدرهم وانحطاط شأنهم الى الدرجة التي ترفضها ابسط الاعراف الاجتماعية فضلاً عن الالتزامات الشرعية والآداب الاخلاقية ليبقى (عار الارض يطاردهم ، وعذاب السماء ملازمهم).

ثالثاً: ان الطاغية – ابن زياد – لم يأمرهم الا بالاتيان به ، الامر الذي فهموا منه ، انه لا يقبل منهم ان يقتلوه وهم في مواجهته ؛ بل يلقي القبض عليه ليتشفى منه ، ويكثر في إذلاله واهانته ، ويشبع غريزته في الانتقام منه ، او أخذ البيعة منه وهو صاغر .

ومثل هذا لا يقبله سليل البيت الهاشمي ؛ بل لا يقبل مثل هذا الامر لو كان يعلم به ، لينخدع بأمانهم بعد الأيمان المغلظة.

ولا يقال: ان قبول مسلم لعرضهم وامانهم مع ما يعلمه من حالهم، ولو من خلال التجربة الحاضرة معهم، وكيف تخلّو عنه في ساعة وتركوه وحيداً يتلدد في طرقات الكوفة، مع ما كان يخبره من حالهم واخلاقهم خلال تجربة عمله وتاريخ عمه وابنه الزكي (عليهما السلام)، فقبول عرضهم يُعرب عن سذاجة مسلم وقلة تدبره .. وهو يجل عنها .

فأقول: هذا لا يقبل لما قد مرَّ في الاجوبة السابقة، والتي قلنا فيها: أن قبوله أهون الشرين وأقل الضررين ، وفيه دفاع عن شهامته وشجاعته من جهة ، وانتقاداً وتشهيراً لهم وكشفاً لزيفهم أخرى .

.....

على ان غياب هذه الصور من الذهن في لحظات المواجهة مع خطر الموت أو القتل أمراً ممكناً بعد ان لم يكن مسلماً عليه السلام معصوماً – بالعصمة الاصطلاحية التي يعبر عنها بالعصمة الواجبة - .

وقد يكون عدم قبوله لعرضهم مثلمة في تاريخه لكل المتصيدين لسلوك أهل البيت ، من المغرضين والمتزلفين وكتاب السلاطين فكان قبوله سداً لهذا الباب .

إلا ان هذا الاخير يمثل وجهة نظر المحبين لأهل البيت (عليهم السلام) ، وقد لا يمثل مبرراً منطقياً عند مسلم عليه السلام لهذا التصرف .. وقول المستشكل حول تصرفه لا تصرف الموالين.

مما يقال :

(مما يقال[1] انهم قبضوا على مسلم بحفرهم حفيرة مغطاة قد سقط فيها، وقبضوا عليه .. وهذا ما ينقله الخطباء وأصحاب المجالس وقرّاء المقتل الحسيني ..) واعتقد عدم صحة هذا الخبر، للمبررات التالية:

الأول: ان حفر مثل هذه التي تصور الرواية وقوع مسلم فيها كبيرة الى درجة معتد بها لإيقاع مسلم عليه السلام بها ، وحاجتها – أي احتياجها للحفر – الى جهد كبير ووقت طويل .. وواضح ان ادوات الحفر المتوفرة لا كالتي هي في يومنا هذا ، بل كان حفراً يدوياً ، ولم يكن هناك متسعاً من الوقت لحفرها ، ولا يمكن تجهيزها قبل مدة من الوقت لأنهم لم يكونوا على علم بمكان مسلم (سلام الله عليه) الذي هو في بيت طوعة ، وسينازلهم أمام دارها ليتهيئوا لحفر حفيرة يوقعوه بها،

(١) سفير الحسين للمظفر / ١٠٧ .

.....

وانما علموا بمكانه في نفس اليوم بعد أخبار هذا الولد الوزغ للطاغية عن مكان ابن عقيل ليفوز بجائزته .

الثاني: وان قيل بإمكان حفرها في نفس اليوم بعد ان استمر النزال لساعات وجندل العديد من العسكر ، حتى استعان ابن الاشعث بسيده ابن زياد ليمده بالمزيد من الرجال ، فان حفرها سوف لا يكون خافياً على مسلم عليه السلام ، لانها بالتأكيد ستكون قريبة من منزل طوعة ، أو واقعة في مدى نظره الشريف إذ ليس من المعقول حفرها في مكان بعيد عن المواجهة . واذا راها توقى منها بكل تاكيد.

الثالث: ان مسألة الحفر لا تخطر على بال عسكر ابن زياد وهم من الكثرة بمكان لا يحتاجون الى الإيقاع بمسلم للتوسل بمثل هذه الحيلة ، نعم لو كانوا قليلي العدد الى درجة يحتمل عدم تمكنهم من مسلم عليه السلام أمكن التفاتهم الى الحفر للإيقاع به ، فمبرر الحاجة غير متوفر ليشكل منبهاً وجدانياً يحفزهم لحفرها.

الرابع: انها لم تُذكر عند معظم أهل المقاتل والسير ممن كتبوا وأرخوا لأحداث الكوفة ، مما يضعف احتمال حصول مثل هذه الواقعة، وان لم ينفها بالمرة مثل هذا الأمر، ولكنه يعزز القناعة بالعدم.

على أعتاب قصر الإمارة

(واقبل محمد بن الاشعث بابن عقيل الى باب القصر فاستأذن فأذن له فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكير إياه، فقال: بُعداً له !!؟.

فأخبره محمد بن الاشعث بما كان منه ، وما كان من أمانه إياه ، فقال عبيد الله : ما أنت والأمان !؟ كأنا أرسلناك تؤمنه !؟ إنما أرسلناك تأتينا به ... فسكت .

وانتهى بابن عقيل الى باب القصر وهو عطشان ، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الأذن منهم (عمارة بن عقبة بن ابي معيط ، وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو ، وكثير بن شهاب) .. فاذا قلة باردة موضوعة على الباب فقال ابن عقيل : اسقوني من هذا الماء .

فقال له مسلم بن عمرو : اتراها ما ابردها ، لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم !

قال له ابن عقيل : ويحك ! من أنت !؟

فقال : أنا من عرف الحق اذا أنكرته ! ونصح لإمامه إذ غششته! وسمع واطاع إذ عصيته وخالفته ! أنا مسلم بن عمرو الباهلي .

فقال ابن عقيل : لإمك الثكل ، ما أجفاك وما أفظك واقسى قلبك واغلظك !!؟ انت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني، ثم جلس ابن عقيل متسانداً الى حائط .

وان عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يدعى قيساً فجاءه بقلة عليها منديل ومعه قدح ، فصب فيه ماءً ثم سقاه ، فاخذ كلما شرب أمتلأ القدح

دماً ! فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيتاه فيه ! فقال : الحمد لله ، لو كان من الرزق المقسوم لشربته!! [١] .

طلب الماء :

قد يقال: بعدم مشروعية طلب الماء ، لأنه اما ان يكون ملتفتاً الى جرحه الذي في فمه وبالتالي سيختلط بالدم ولا يجوز شربه ، او لا يكون ملتفتاً الى الجرح وبالتالي فيُسأل : لماذا طلبه وهو يعلم هذا ؟[٢]

فنقول: ان السائل يفترض انه لو كان ملتفتاً الى جرحه فسيعلم اختلاط الماء بالدم فلا يجوز شربه لتنجسه ولكنا نقول انه لا ملازمة بين الالتفات الى الجرح واختلاطه بالماء إذ لعله لا يختلط لمانع ، أو يتوقف نزيف الدم بشربه الماء ، بل حتى لو لم يتوقف يمكن تلافي الاختلاط فانه امر ليس بالعسير ، فافتراض الاختلاط غير مقبول ومعه فيسد السؤال .

وعلى تقدير الاختلاط فان المحظورات تبيحها الضرورات ، ولا شك بانه كان في موضع ضرورة تبيح له شرب الماء وان قطر به بعض الدم ، ولكن الإباحة في مورد الضرورة لا يعني شرب الماء بقدر ما تعني رفع الحرمة من شربه ، ومع ذلك لم يشرب بل أراقه ثلاث مرات .

مضافا الى ان طلبه الماء كان جرياً للعادة القائمة آنذاك ، لأنه اذا كان الكبش قبل ذبحه يعرض عليه الماء كي يشرب اذا كان فيه حاجة

---

(١) الطبري ٣/ ٢٨٩ – ٢٩٠ ، وانظر الإرشاد ، ص١٩٧ ، ومقاتل الطالبيين ٦٩ – ٧٠ .
(٢) اشار الى هذا السؤال السيد الشهيد الصدر في كتابه اواءعلى ثورة الامام الحسين عليه السلام واجاب عنه / ١٨٣ /١٨٤

.....

إليه ، فالاولى عرض الماء على الانسان قبل قتله ، فضلاً عن طلبه هو شخصياً له ، فكانت استجابته متعينة ، بل هي مقتضى العادة الجارية عندهم ، فلا اشكال حينئذٍ .

وما أجاب به السيد الشهيد (قدس سره) في الأضواء – من تبذير الماء بحيث كان كلما امتلأ دماً اراقه وخاصة في المرة الثالثة حيث كان من المعلوم حصول نفس النتيجة .

ثم اجاب عليه ، وهذا الاحتمال باطل لأنه وان كان تبذيراً إلا انه ليس بمحرم على مسلم في ذلك المورد لوجود مصلحة .

ثم بينها أخيراً – بان طلبه كان بياناً عملياً لشرح حاله لا أكثر -.

ولنا عليه عدة تعليقات :

أ- انه لا يصدق التبذير في هذا المورد اذ لو صدق فانه صادق عليهم لا عليه اذ لا اختيار له في اختلاط الماء بالدم ولو امكنه ايقاف النزيف لأوقفه ، واذا لم يكونوا ملتفتين بالمرة الاولى فلا اقل التفتوا بالمرة الثانية فضلاً عن الثالثة فتقديم الماء إليه تبذير منهم لا منه .

نعم لو صدق عليه فهو صادق من باب المقدمة باعتبار ان طلبه مقدمة للتبذير، ومقدمة الحرام ليست بحرام مشهورياً فتأمل .

على ان مقدار قليل من الماء لا يشكل موضوعاً للتبذير كما هو المتفاهم عرفاً من هذه المقادير المعدة للشرب .

ب- لو صدق التبذير منه فان حرمته مرتفعة للضرورة القاضية بإباحة المحظور .

ج- ما ذكره عن المصلحة غير واضح ، اذ بيان مسلم لحاله عملياً امام القوم لا يؤثر في الموقف شيئاً ولم يتوضح عندنا وجه الملازمة بين ما ادعاه من المصلحة ونفي التبذير .

.....

اللهم الا ان يقال بان بيان حاله عملياً لهم انما يكون منتجاً لو اظهر من خلاله زيف الجلاوزة ودناءة طبعهم عندما لم يسمحوا له بتولي شرب الماء بنفسه وفك وثاقه ولو سمحوا له بتولي شرب الماء ، لشرب منه متفصياً من الاختلاط .

ويبقى هذا البيان رافعاً للتبذير المحرم عن مسلم لو صدق وقد عرفت عدم صدقه .

تعريف الباهلي لنفسه

وفي سبب تعريف الباهلي لنفسه بهذه انه قال ذلك تزلفاً لابن زياد وبيان اخلاصه وتفانيه في خدمته ، فقد قالها وطاغيته في المجلس فاراد ان يتقرب او يتحبب اكثر اليه فـ(بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) سورة الكهف :٥٠ .

او انه كان من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق ، تقربهم الكذبة وتضلهم المادة او يتصرفون بدافع الاجواء العامة التي كانت قائمة صدقاً او نفاقاً (خوفاً او طمعاً) على تولي السلطة وخدمتها والسير على تعاليمها ، وهو بهذا يقطع بصحة تصرفه وحسن فعله ويقبح بالمقابل فعل مسلم عليه السلام وتصرفه .

وهل وجدت مخطئاً او ضالاً يقول ان ضال او مخطئ ، فانه قاطع ولا يرى الا صحة قطعه .

او انه قال ذلك تبكيتا لمسلم وغلاً به مع ما به من الحال والشدة والارهاق كما نقول في بعض اعرافنا (حيل وياك) شماتة او اضراراً.

مسلم .... والتسليم

واما قول مسلم بن عقيل حول عدم شربه للماء انه لو كان من الرزق المقسوم لشربته ، فما سبق بيانه انه ليس تحصيلاً لما حصل ،

.....

وهو معروف بلا حاجة للتصريح به اذا كان المراد انه لم يشربه لالتفاته لنزيف دمه .

مع ان فيه بعداً ايمانياً عند مسلم عليه السلام من حيث ان الرزق مقسوم وهو ما يصل نفعه الى الانسان وغير مقسوم وهو ما ليس كذلك ، وهذا من هذا القسم لا القسم الاول فاحب عليه السلام ان يصرح لهم بهذا المعنى كي يتعظوا بان ما ليس لك من الرزق المقسوم لا يصل اليك مهما عملت من الحيل وبذلت من الجهد .

ولا يقال: ان في هذه الحادثة اظهارا للذلة مع التفاته اليها بصفته الشخصية او هي محرمة ، ان كانت بصفته سفيرا للحسين (عليه السلام).

فانا نقول: ان لا ذلة في هذه الحادثة وبالتالي فليس حراماً لا بصفته الشخصية ولا بصفة كونه سفيراً للحسين عليه السلام ، فان امامه الحسين عليه السلام قد اظهر امام عسكر القوم ما يبدو كذلك وحيث لا يمكن توجيه ذلك مع الامام لعصمته ، فكذا لا يكون مثل هذا الامر لمسلم ذلاً.

وفيه زيادة الاحتجاج على القوم وتعرية الامارة من اطارها الاسلامي بل العرفي والعشائري لقيام العادة بذلك .

مسلم في مواجهة الحاكم الجائر

(.. فادخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد .

فقال له الحرس : سلّم على الأمير :

فقال له مسلم [١] : اسكت لا أم لك : مالك وللكلام !؟ والله ليس هو لي بأمير فأسلم عليه (إنما أميري حسين) [٢] ، إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه [٣] .

فقال له عبيد الله ابن زياد : لا عليك سلمت ام لم تسلم ، فانك مقتول!

فقال مسلم بن عقيل : ان قتلتني ، فقد قتل شرّ منك من كان خيراً مني!

فقال له ابن زياد : يا شاق ! يا عاق ! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين والقحت الفتنة !!

فقال مسلم : كذبت يا ابن زياد ! والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة ، بل تغلّب على وصي النبي بحيلة ، واخذ عنه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد !

وأما الفتنة فإنك القحتها انت وابوك زياد بن علاج من بني ثقيف ! وانا أرجو ان يرزقني الشهادة على يدي شرّ بريته!

فو الله ما خالفت ولا كفرت ولا بدّلت إنما انا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد .

---

(١) نقل الطريحي انه قال : (السلام على من اتبع الهدى ، وخشي عواقب الردى واطاع الملك الاعلى ..) المجلس التاسع ، ج٢/ ٤٢٧ .

(٢) سفير الحسين ١١٧ .

(٣) وعن الطبري ٣/ ٢٩٠ ، والمفيد في الارشاد ١٩٨ والاصفهاني في مقاتل الطالبيين ٧٠ ثم قال: (فان استبقاني فسيكثر عليه سلامي !) .

.....

فقال له ابن زياد : يا فاسق ! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة !؟

فقال مسلم بن عقيل :(أنا اشرب الخمر!؟والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وإنك قلت بغير علم ، وأني لست كما ذكرت ، وانك أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير النفس ، ويسفك الدم الحرام ، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً !!)[1] .

فقال ابن زياد : يا فاسق منّتك نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله .

فقال له مسلم : ومن أهله يا ابن مرجانة !؟

فقال : أهله .. معاوية ويزيد .

فقال مسلم بن عقيل : الحمد لله ، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم!!

فقال ابن زياد لعنه الله : أتظن ان لك من الأمر شيئاً !؟ . فقال : لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين .

فقال ابن زياد : قتلني الله إن لم أقتلك !!

فقال مسلم : إنك لا تدع سوء القتله وقبح المثلة وخبث السريرة !! والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم ، وقدرت على شربة من ماءٍ لطال عليك أن تراني في هذا القصر ! ولكن ان عزمت على قتلي ولا بد لك من ذلك فاقم إليّ رجلاً من قريش فاوصي إليه بما أريد .

(فنظر الى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد : فقال : يا عمر ان بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب عليك نجح حاجتي ، وهي سر .

---

(١) وهذا للطبري ٣ / ٢٩١ .

.....

فأبى ان يمكنه من ذكرها ، فقال ابن زياد : لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك !) [١] .

فقال : أوصِ إليّ بما تريد يا بن عقيل ! (فقال له مسلم : أوصيك بتقوى الله ، فإن التقوى درك كل خير ، وليّ إليك حاجة .

فقال عمر : قل ما أحببت ، فقال : حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه ، وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم هذا ، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق ! فتواريني في التراب ،وأن تكتب للحسين : أن لا يقدم فينزل به ما نزل بيّ ! .

فقال عمر بن سعد : أيها الامير : انه يقول كذا وكذا !!

(فقال له ابن زياد : انه لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن!)[٢].

ثم قال : يا ابن عقيل ! أما ما ذكرت من دينك فانما هو مالك تقضي به دينك ، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت ، وأما جسدك فإنا اذا قتلناك فالخيار لنا ، ولسنا نُبالي ما صنع الله بجثتك ! وأما الحسين فإنه إن لم يُردنا لم نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه) [٣] .

ولكني أريد أن تخبرني يا ابن عقيل ، بماذا أتيت الى هذا البلد!؟ شتت أمرهم ، وفرقت كلمتهم ، ورميت بعضهم على بعض!

فقال له مسلم بن عقيل : ليس لذلك أتيت لهذا البلد ، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمرتم على الناس من غير رضا ، وحملتموهم على غير ما أمركم به الله ، وعملتم فيهم باعمال كسرى وقيصر .

---

(١) هذه من تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٠ ، وقريب منها ما في الإرشاد للمفيد ص١٩٨ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩١ .
(٣) عن مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١/ ٣٠٥ .

.....

فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر ، وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة ، وكنا أهل ذلك ، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ولا تزال الخلافة لنا ، فانما قهرنا عليها لانكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين ، وأخذ هذا الأمر غصباً ، ونازع أهله بالظلم والعدوان ، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً ، إلا قول الله تبارك وتعالى : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)[١].

فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين (عليهم السلام)!!

فقال مسلم : انت وابوك أحق بالشتيمة منهم ! فاقضِ ما انت قاضٍ ! فنحن أهل بيت موكول بنا البلاء !!

فقال : الحقوا به الى أعلى القصر فاضربوا عنقه ، والحقوا رأسه بجسده !

(فقال مسلم : يا ابن الاشعث ! أما والله لولا أنك آمنتني ما استلمت! قم بسيفك دوني ، فقد أخفرت ذمتك) [٢] .

فقال مسلم رحمه الله : أما والله يا ابن زياد ! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتني ، ولكنك أبن أبيك !!).

السلام على أبن زياد :

ولا يقال: ان قول مسلم عليه السلام: (ان كان يريد قتلي فما سلامي عليه) هي جملة شرطية تامة الاركان، وكما عليه الاكثر من علماء الاصول ان الجملة الشرطية من الجمل التي لها مفهوم، ومفهومها: (ان لم يرد قتلي سلمت عليه بالامارة)

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩١ .

.....

فانا نقول: ان الظاهر من هذه الجملة (ان كان يريد قتلي فما سلامي عليه) ليس لها مفهوم كي يقال ان السلام عليه يدور مدار نفي القتل عنه، فاذا نفى القتل عنه سلّم عليه، واذا لم ينف لم يسلم عليه، والوجه في هذا: ان مسلما يقطع بقتل ابن زياد له سواءا سلم عليه ام لم يسلم ومعه لا مفهوم للجملة.

كما انه يمكن ان يقال ـ كما في بعض المقاتل ـ ان مسلما قد قال غير هذا وهو قوله (ما هو لي بامير، انما اميري حسين) هو تعليق السلام على الامرة وحيث ان بن زياد ليس اميرا لمسلم بن عقيل فلا سلام عليه.

وعلى هذا الذي قلناه يكون للجملة مفهوم وتصبح صياغتها كالتالي (ما سلامي عليه ان لم يكن لي بامير) ومفهومها (سلامي عليه ان كان لي بامير) فالذي يدور مدار الشرط هو (الامارة) لا (ارادة القتل).

وبعبارة أهل الأصول: انه لا ملازمة بين الشرط والجواب، فالشرط صادق سواءٌ حصل الجواب أم لم يحصل ، ومع عدم الملازمة فلا دلالة للجملة على المفهوم ، كما في علم الأصول .

أو يقال: ان المفهوم من الظاهر والظاهر لا يقاوم العلم ، وحيث يعلم مسلم بإرادة اللعين قتله ، فلا مفهوم في البين باعتبار وجود القرينة النافية له .

أو يقال: انه لا مطابقة بين (مقام الثبوت) و (مقام الإثبات) بالنسبة للمفهوم لما تقدم بأن إرادة القتل غير معلقة على السلام عليه أو عدمه .

أو يقال: ان مسلماً أجاب بما يقتضيه المقام ، وهو يقتضي القتل الذي لا ينفع معه السلام ، بل السلام في موضع كهذا لا معنى له من حيث السيرة الجارية بين المسلمين ومن حيث مناسبة المقام للسلام فالسلام لا يجتمع مع سوء الإرادة بالقتل .

.....

اختيار حامل الوصيّة :

واختيار عمر بن سعد محلاً لحمل الوصية وأدائها ، مع خبث سريرته الواضحة بالظهور عندما رفض الاستماع للوصية في بادئ الامر لولا ان أشار إليه ابن زياد ويُبرر بوجوه :

الوجه الأول: لمكان القرابة وصلة الرحم ، وهذه الصلة لها من المكانة والحرمة العظيمة ، التي تجعل عدم مراعاتها مظنة للاستهزاء والسخرية وخصوصاً في تلك الأزمنة ، حتى ان الطاغية ابن زياد حينما اراد ان يبطش بالامام السجاد عليه السلام وارتماء زينب على الامام عليه السلام قائلة له : (إن أردت قتله فاقتلني معه) فأجاب قائلاً : (دعوه لها، يا للرحم ودّت لو تقتل معه) ، فقد تأثر هذا الشيطان بصلة الرحم وتراجع عن قراره بقتل الامام عليه السلام .

واذا كان الرحم بهذه الأهمية والصيانة ، فقد أحتمل مسلم عليه السلام أن يصون ابن سعد هذه القرابة .

الوجه الثاني: ان ابن سعد لم يكن وقتئذٍ قائداً للجيش المحارب للامام الحسين عليه السلام ، نعم هو مجرد موالي للامويين ولم يكن متطرفاً في عناده لأهل الحق إلا بعد ان ساومه ابن زياد على ملك الري لو حارب الحسين عليه السلام أو يتخلى عنه (عن قيادة الجيش) للشمر الملعون .

ومثل هذه الامور المستقبلية ، وان احتمل معرفة مسلم لها عن طريق الاخبار من الحسين عليه السلام أو غيره فانها امور باطنية حينئذٍ .

.....

الوجه الثالث: ان مسلماً قد قال لابن زياد ، دعني أوصي الى بعض قومي ، ومقصوده من القوم أقرباءه وليس فيهم الا ابن سعد ، فلم يكن غيره صالحاً للدعوة لكي يوصي .

ويختلف هذا الوجه عن الوجه الأول ، إذ قد يبدوا هو لا غيره للوهلة الأولى ، بل يختلف عنه بان الاخير ناظر الى صلاحية ابن سعد لوحده لدعوة الوصية بعد ان علقها على القوم (قومي) ، وفي الأول ناظر الى مطلق القرابة ومصداقها الوحيد هو ابن سعد فنظر الوجه الأول غير نظر الوجه الأخير ، وهذا يكفي لجعله وجهاً مستقلاً.

الوجه الرابع: ما ذكره السيد الشهيد (قده)[1] – انه من المتعذر لمسلم ان يختار حقيقة أي فرد ، او يدعوا من خارج القصر أي شخص فانه يخاف عليهم ، وانما عليه ان يختار من الحاضرين فقط ، فقد وجده افضل من يحتمل فيه ذلك ، وكل الباقين ليسوا بهذه الدرجة من الاستحقاق .

ويرد عليه: انه لا طريق لمسلم إلا اختيار ابن سعد لحصره الوصية بـ(قومي) أي قرابتي ، وآية ذلك قوله لأبن سعد (يا عمر ان بيني وبينك قرابة) ، نعم لو لم يعلق المسألة على القرابة لكان لما ذكره الشهيد (قده) وجه .

هذا مع ان حقيقة ابن سعد لم تكن تلك اللحظة قد ظهرت لمسلم ابن عقيل (عليه الرحمة) ليحتمل فيه الأفضلية ، فتبقى الأفضلية المذكورة بلا موجب ، **اللهم إلا أن يقال كما قال السيد (قده) بوجه آخر :** لعله

---

(١) الشذرات – ٣٠٠ .

.....

وجده بالسن أو في الرشد الاجتماعي قابلاً لذلك ويستطيع أن يتحمل هذه الوصية ، ومن المحتمل أن ينفذها .

ولكنه ليس بصحيح لأن كبره قد يعيقه من القبول ، فضلاً عن احتمال تنفيذها إذا أخذنا بنظر الاعتبار تلك الظروف التي كانت تؤدي بحياة الشخص على الظن والتهمة .

فلم يكن كبر العمر مفضلاً له على غيره ؛ بل لا دخل للعمر في ذلك.

الوجه الخامس: ما ذكره الشهيد نفسه (قده)[1] - من أن وجهه الامتحان الإلهي فيها فقط كونها سراً ، وإلا فهي ليست بسر ، وإنما قال ذلك (بأنها سر) امتحاناً له ، وقد فشل في الامتحان .

ومن القرائن على انها ليست سراً انه لم يحصل لها أي ردّ فعل سيءٍ لا عام ولا خاص – يعني من قتل عبيد الله بن زياد .

وهو وجيه ، ولكن يبقى عليه جواب الفرق بين ابن سعد وغيره ، ولمَ اختاره للامتحان دون غيره ، وقد اجبنا عليه قبلاً ، انها القرابة .

واما كونها ليست سراً باعتبار انها حصلت بطلب من مسلم للطاغية الذي أشار لعمر ان لا يمتنع في النظر فيها ، فالوصية ليست سراً ولكن متعلقها سراً .

أداء الدين :

فبما أوصى به لابن سعد انه قال : (ان عليّ دين في الكوفة .. فاقضها عني ، فمن جهة انه قد يستشكل عليه بوجوب الوفاء للدين على

---

(١) المصدر السابق .

.....

ابن عقيل ما دام يحتمل هلاكه ، وبالتالي فتأخره عن الوفاء بالدين قد أدخله في الحرمة !!

ومن جهة أخرى قد يشكل عليه انه في وصيته لم يذكر صاحب الدين ، فيكون طلبه لاغياً بعدم معرفته ؟

ولكن الصحيح انه لم يدخل في حرمة ذلك من جهة التأخير ، إذ لعل الدين لم يحلّ وقته بعد ، ولكنه حينما شعر بدنوا أجله وان ابن زياد مصمم على قتله ، فقد حلّ أجله بهذا الاعتبار ، وحيث لم يستطع وفائه للحال الذي هو فيه ، فكان لا بد من الإيصاء به (أي بالدين) وهو الطريق الذي جعله الشارع مخلصاً آخر لابراء ذمة الفرد اذا لم تسعفه الظروف اثناء حياته ، او لأمور أخرى لأن يُبرئ ذمته من المتعلقات في ذمته للعباد وكذا في عباداته ، سعة بالرحمة بهم وتفضلاً منه عليهم جلت قدرته ، **وهذا أولاً** .

ثانياً: انه وان حلّ الأجل في دينه – وفي تلك الظروف – فان العقيلي عليه السلام لم يكن في متسع من الوقت والقدرة ليتصرف ببعض ممتلكاته للايفاء بدينه ، وما دام أجله قد اقترب فلا بد من الايصاء لشخص آخر يقوم مقامه في تسديد الدين بعد رحيله.

ثالثاً: ان مسلماً بن عقيل عليه السلام لم يذكر الدائن بأسمه او عنوانه ، وانما قال (إن عليّ ديناً) ، وفي مثل هذه الحالة فإن التسديد محتاج الى الذهاب الى صاحب الدين ، ولم يكن بالمستطاع لمسلم أو أحد من قبله الذهاب إليه في وقته للمنع السلطوي والبطش الأموي الذي أعلن عنه الوالي في حينها لكل من يتعاون مع مسلم عليه السلام .

وليس أفضل من الدين عوناً لمسلم عليه السلام في ظروفه تلك ، فيتورط الدائن ويكون مسلماً مورطاً إياه أمام السلطان ، فكان بين ان

.....
يسدده في حينها ويتضرر بالتسديد صاحب المال ، وأما ان يبقيه وصيةً له بعد حين ، فكان الأخير هو الأولى بالامتثال.

ومن هنا يكون إخبار ابن سعد مفيداً ، اذ باستطاعته وهو من الوجوه المعروفة أن يعلن : بان من عليه دين على مسلم فأنا ضامنه ، وبإمكانه إخفاء الأمر على ابن زياد والتوقي من شره ، على ان ابن زياد كما يقول [1] قد اجابه في إحدى الوصايا وهي في وفائه للدين عن مسلم قائلاً له : فاما مالك فهو لك ولسنا نمنعك ان تصنع به ما أحببت .

رابعاً: انه لم يكن يملك ليوفي دينه ، ولذا طلب من ابن سعد قضاؤه عنه ، فكان مسلم معذوراً بالتأخير من هذه الناحية.

هذا ويمكن جعل الوجهين الاخيرين من متممات الجواب في وجه الاختيار لأبن سعد .

وأما إخفاء صاحب الدين فقد عرفت وجهه فيما سبق ، ولو فرض عدم إهتداء ابن سعد إليه ، أمكن تطبيق عنوان مجهول المالك عليه ، والذي حكمه التصدق به على الفقراء .

وهناك فقد يقال: ان سعد قد يكون متفقهاً في ذلك فيتصدق به عن صاحبه: او يسلمهالى بيت المال، وهو امر مستعبد عن مثله.

وأما أن مسلماً عليه السلام يكون قد طبق الحكم باحد وجوه محتلمة بان نقول:

الأول: ان له سهماً من بيت مال المسلمين. قد يفي او يزيد على دينه، فاعتبره مقبوضاً من قبله وارجعه الى بيت المال حيث لا يعرف مكان صاحبه، وقد طبق عليه بهذا عنوان مجهول المالك.

---

(١)

.....

ولكن: ما لم يقبض سهمه لا يعتبر مالكا له فكيف يفي او يتصدق به.

الثاني: ان مجرد الايصاء وقبول ابن سعد فان ذمته قد برأت من الدين واشتغلت ذمة الوصي ان كان قد قبل الوصية وهذا مستبعد ايضاً.

الثالث: ان المالك -: أي صاحب الدين - حيث يجهل مكانه فهو مجهول الحال تنطبق على ماله حكمه وهو التصدق، وقد طبقه مسلم على نفسه لأن ما في ذمته بمنزلة المقبوض عن صاحبه، على تامل واضح في ذلك.

الوصية بأخبار الحسين عليه السلام

ان خبر خروج الحسين عليه السلام في صوب الكوفة لم يكن ليخفى على احد فايصاء مسلم بن عقيل عليه السلام بالوصية إلي هؤلاء، لا يغير في الامر شيئاً فانه من قبيل تحصيل الحاصل.

وإذا لم يصل خبر الحسين عليه السلام لأهل الكوفة، فأن الامر غير مهم إذ المهم هو خروجه وتحركه من مكة قادماً الى الكوفة، وهنا يكون غرض ايصال الخبر اقناع الحسين عليه السلام بعدم الضرورة في الاستمرار بالقدوم الى الكوفة، وواحد من الذين كلفهم مسلم لم يوصل الخبر إليه عليه السلام بكل تأكيد، لو قبل منه الوصية.

وهناك ينفتح السؤال التالي: لماذا أوصى إلى هؤلاء بإيصال الخبر إلى الحسين عليه السلام وهو يقطع بعدم امتثالهم .

وجوابه:

.....

١) لعله احتمل بسبب معتد ب هان احدهم يرجو ان لا يصل الحسين الى الكوفة كي لاتقع المأساة ويتورط بدمه يوم القيامة ويكون مسلم قد اعتذر الى الله والحسين بنصيحة القوم ووضع العقبات امام سعيهم انطلاقا من قوله تعالى ((قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يهتدون))

٢) ان احتمال عدم ايصال الخبر يضعف كلما زاد في عدد الاوصياء

الوصية بالمواراة

والمواراة لا تعني الدفن خاصة، بل يعني التجهير بكامل مراحله والتي منها التغسيل والتكفين بدلالة المواراة عليها بالتضمن أو بالملازمة.

وهذا الأمر نقوله لا من باب انه شهيد فانه وان كان كذلك لكن لم يمت في ساحة المعركة بل قتل صبراً فلا يكون مشمولاً لأحكام الشهيد الفقهية.

مع إمكان القول بان مسلماً عليه السلام أنما أوصى له بذلك ليعجل دفنها ويسعى في تجهيزها لاحتمال التمثيل بها او الانتهاك لها الذي قد حصل فعلاً فقوله (وارها) مقرونة بالفاء التي تفيد الترتيب بلا تراخي ريد به قطع وسد باب انتهاكها والتمثيل بها، ولا نظر لهذا الكلام الى هذا الاحتمال الى التغسيل والتكفين ليقال انه قد التفت اليهما او لا.

واما قوله (وان كنت لا احب لها طرفة تلفا) فهي قضية تقال على سبيل بيان الطبيعة البشرية السارية في المجتمع بما فيهم مسلم عليه السلام فان طبيعة الانسان محبة للبقاء وعدم التلف او الهلاك من جهة حبه لذاته.

.....

فهو يتكلم بمقتضى هذه الطبيعة وما يناسب حال المخاطب وفهمه من الناحية النفسية والاجتماعية القائمة على ذلك، من حب الحياة والنفور من الهلاك و التلف.

وقد يفسر الاهتمام بالجسد لما تقدم بيانه من احتمال التمثيل والهتك لجسده الطاهر، فيكون الاهتمام مقدمة لمنع ذلك، او ارشاد القوم الى وجوب احترام الميت كاحترام الحي، وحرمة التمثيل به والتشفي منه، كي تنقطع عليهم الحجج والمعاذير بعدم معرفتنا بوجوب ذلك وحرمته هذا، وبه قد خلص مسلم لهم بالنصيحة وأدى لهم الواجب.

على ان كلامه لأبن الاشعث لا يحمل اية دلالة على الاهتمام بنفسه حيث نفى البكاء عليها، وهذا الصدر لا يلازم الذين وهو قوله (وان كنت لا احب..) بل هي تعطي اشعاراً بسمو قدره وعلو مكانته، حيث لا يبكي لأجل نفسه وان كان لا يحب لها طرفة عين تلفاً، طبعاً إذا ذهبت في سبيل الله وطريق مرضاته وانجزت مهمة الحيسن عليه السلام فأن هذه المقاصد تعلو على عدم المحبة لها والخوف عليها من التلف.

.....

مسك الختام

(فأدخله بن زياد القصر ثم دعا رجلاً من الشام، قد كان مسلم بن عقيل قد ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال: خذ مسلم واصعد به الى أعلى القصر، واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك اشفى لصدرك)[١].

(فأُصعد مسلم بن عقيل (عليه الرحمة) الى اعلى القصر، وهو في ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا)[٢].

(وأُشرف به على موضع الجزارين فضربت عنقه واتبع جسده رأسه)[٣].

(ونزل الاحمري بكير بن حمران الذي قتل مسلماً فقال له بن زياد: قتلته؟ قال: نعم قال: فما كان يقول وانتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر! فلما ادنيته لأقتله، قال اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا! فقلت له: ادن مني الحمد لله الذي اقادني منك! فضربته ضربة لم تغني شيئا! فقال: اما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك إيها العبد!؟ فقال بن زياد: وفخراً عن الموت؟؟ قال: ثم ضربته الثانية فقتلته...)[٤].

---

(١) الفتوح / ٥/ ٩٧- ١٠٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الطبري ٣/ ٢٩١.
(٤) المصدر السابق.

الجندي الأموي

وهذا الجندي الاموي من الاجلاف الذين فوت عليهم الاعلام الاموي فرصة الوعي والهداية، وقادته نفسه وأهوائه الى دراهم معدودات، تطميعاً ليتحلل عن دين محمد (صلى الله عليه وآله) وينتقل الى دين معاوية الذي عمل على ابعاد الناس عن الاسلام واحكامه.

وان قلنا بعلمه ومعرفته بالحكم الشرعي، فأنه ينفذ حكم ابن زياد في مسلم بن عقيل عليه السلام والذي قد امر بقتلي، واراد مسلم ان يلفت هذا الجندي وينبهه الى جرمه والمتعارف على الاخذ بمثل او الاقتصاص بالمثل لا ازيد منه، وعليه سيكون مطعوناً به من هذه الناحية المتعارفة، فضلاً عن العذاب الاخروي.

المطالبة بالقصاص

ومسلم بن عقيل عليه السلام ليس بمطالب بالقود[1]، لأنه انما كان يدافع عن نفسه، والدفاع عنها ضد القتل واجب، وان كان كذلك واجباً فالشرع يسمح له بذلك فلا قود في قباله حال الدفاع عنه.

ولكن هل اقر به مسلم (عليه الرحمة) حينما قال: اما ترى في خدش تخدشنيه وفاءاً من دمك ايها العبد؟ والظاهر انه اقرار عرفي طبقاً للعادات الجارية عندهم من آثار الجاهلية والتي ما زالت ممارستها مستمرة في بعض الاعراف، إذ لم يتمكن الاسلام من تقويم الناس والتأثير بهم بشكل كلي على ممارستهم السابقة، فهو اقرار ولكنه

---

(١) قاد الدابة يقودها في اللغة: مشى امامها آخذا بقيادها والمصدر (القود والقيادة) وتستعمل القيادة في لسان الشارع وكلمات الفقهاء في موردين على الاغلب (الاول): في عمل الجمع بين الرجل والمرأة للزنى، وبين الذكر والذكر للواط.
(الثاني): وتذكر في كتاب الحدود لبيان ترتب الحد عليها، وفي كلام الفقيه اراد المعنى الثاني لها.

(عشائري) لا انه اقرار شرعي، لأنه مع الاذن الشرعي فلا مآخذة عليه؛ وانما هذا الاقرار الذي اسميناه بـ (الاقرار العشائري) هو الالزام الخصم و الوفاء إليه في حقه فإذا ما تجاوزه وقع فيما لا يشكر على فعله ويلام على ارتكابه.

ماذا يعني؟؟

أولاً- ومعنى قول بن زياد (وفخراً عند الموت) فهو يريد به انه حتى في موته يتباهى، فلا يكسره الموت ولا ينتقص من كبريائه شيء، وهكذا هم اهل بيت النبوة عليهم السلام.

ثانيا- واراد بن زياد باتباع الجسد للرأس برميهما من اعلى القصر، ان يوصل رسالة واضحة لكل من تسول له نفسه بالخروج عن الطاعة للسلطة الاموية والتمرد على الدولة المتمثلة بالخروج على الوالي، فأن خبراً منقولاً عن فعل كهذا، لجدير بأن يصل الى كل بيت وكل شخص، لما يعكسه هذا الفعل من القسوة والغلظة وسوء المنقلب لمن يفكر بفعل متمرد يقف فيه بوجه السلطة.

وهذا الفعل من مبتدعات ابن زياد ليسجل رقماً متميزاً لأفعال القساة الجبابرة في سجلات التاريخ الانساني.

مقتل هاني بن عروة

(ثم امر عبيد الله بن زياد بهاني بن عروة ان يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمد بن الاشعث: اصلح الله الامير انك قد عرفت شرفه في عشيرته، وقد عرف قومه اني واسماء بن خارجة جئنا به إليك، فأنشدك الله ايها الامير إلا وهبته لي، فأني اخاف عداوة أهل بيته، فأنهم سادات اهل الكوفة واكثرهم عددا!! فزبره بن زياد ثم امر بهاني بن عروة فأخرج الى السوق في موضع يباع فيه الغنم وهو مكتوف، وعلم انه مقتول، فجعل يقول: وا مذحجاه!! وا عشيرتاه، ثم اخرج يده من الكتاف وقال: اما من شيء فأدفع به عن نفسي؟![1].

فصكوه ثم اوثقوه كتافاً فقالوا: امدد عنقك! فقال: لا والله ما كنت الذي اعينكم على نفسي[2].

فتقدم إليه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له (رشيد) فضربه بالسيف فلم يصنع شيئا! فقال هاني: الى الله المعاد اللهم الى رحمتك ورضوانك، اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنبي، فأني انما تعصبت لأبن بنت نبيك (صلى الله عليه وآله) فتقدم رشيد فضربه ضربة اخرى فقتله[3].

---

(١) وفي مقتل الحسين الخوارزمي ١/ ٣٠٧، ثم اخرج يده للمدافعة وقال: اما من عصى او سكين او حجر او عظم يجاحش به الرجل عن نفسه!؟

(٢) وفي تاريخ ا لطبري ٣/ ٢٩١، ما انا بها مجدي سخي وما انا بمعينكم على نفسي.

(٣) وهو مولى تركي، ولما كان في معركة الخازر مع عبيد بن زياد فبصر به عبد الرحمن بن حصين المرادي والناس يقولون هذا قاتل هاني بن عروة، فقال بن الحصين قتلني الله إن لم اقتله او اقتل دونه فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله ـ تاريخ الطبري ٣/ ٢٩١.

.....

ثم قام جلاوزة بن زياد لعنهم الله بسحل الجثتين الزكيتين في الشوارع وفي السوق[١] ، ثم امر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهاني بن عروة (رحمه الله تعالى) فصلبا جميعاً منكسين، وعزم ان يوجه برأسيهما الى يزيد بن معاوية [٢] .

ولما صلب مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (رحمهم الله) قال فيهما عبد الله بن الزبير الاسدي[٣] .

إذا كنت لا تدري ما الموت فانظري
الى هاني بالسوق وبن عقيل

الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوي من طمارٍ قتيل

تري جسداً قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان احيا من فتات حييّة
واقطع من ذي شفرتين صقيل

واشجى من ليث بخفان مصحر
واجرأ من صناد بغابة غيل

اصابهما امر الامير فأصبحا
احاديث من يسري بكم سبيل

---

(١) الفتوح ٥/ ١٠٤.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٣. ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١/ ٣٢٧ـ ٣٢٨.
(٣) ان هذه القصيدة كانت من المنشورات السياسية الممنوعة التي يعاقب الطغات عليها، حتى اختلف في قائلها، فقلد نسبها الدينوري الى عبد الرحمن بن الزبير الاسدي (الاخبار الطوال ٢٤٢)، واحتمل بن الاثير انها للفرزدق (الكامل في التاريخ ٣/ ٢٧٤ وكذلك الطبري في تاريخه ٣/ ٢٩٣).

.....

ايركب اسماء[١] الهماليج[٢] آمنا وقد طلبته مذحج بذخـــــول

تطوف حوله مراد وكلهم على رقبة من سائل ومســول

فأن انتم لم تثأروا لأخيكم فكونوا بغايا أُرضيـــت بقليل[٣]

---

(١) هو اسماء بن خارجة.

(٢) جمع هملاج من البراذين (وهو نوع من الفرس) وهي كلمة فارسية معربة، تعني حسن سير الدابة مع سرعة السير ـ بتصرف عن لسان العرب لأبن منظور ٢/ ٣٩٣.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١/ ٣٠٨ وقد نقل هذه الابيات في الصمادر التاريخية بتفاوت ملحوظ.

.....

المقتول في محبة ولدك

وهذه الكلمة التي قالها لمحمد بن الاشعث حينما بكي، وصرح بأنه ما بكيت على نفسي ولا من قتلها، وانما لحسين وأهل بيته تمثل حبه للحسين عليه السلام وهذا الحب الذي اضهره في ساعته الاخير حيتما يؤكد بالبحث عن رسول يرسله الى الامام عليه السلام ليخبره بغدر اهل الكوفة وانقلابهم عليه، ليكون على بينة من امره ويوفي له بذلك حقه، بل سفارته عنه وتحمله كل المشاق ومواجهته لكل الصعاب، وتفرد القوم به اكبر دليل على محبته للحسين عليه السلام ومفاداته بنفسه وإلا لخضع لأبن زياد وبايع طاغيته وآثر العافية وحب السلام والامان.

ومثله لا يبايع مثل يزيد، (مع حفظ الفارق بينه وبين الحسين عليه السلام).

.....

.....

وفي الختام اشكر الله على تمام هذه الأوراق التي تعطرت بذكرى الحسين عليه السلام وسفيره الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام . سائلاً المولى القدير أن يدخلني وإياكم في كفالة الحسين عليه السلام . انه ولي التوفيق[1] .

قاسم الطائي
النجف الاشرف
في يوم الثلاثاء المصادف
للسابع عشر من محرم الحرام ١٤٢٧ هـ

(١) انتهيت من تقريره واعداده بتاريخ ١ شعبان ١٤٢٧هـ ـ الشيخ محمد الحلفي .

.....

الفهرس

المقام الأول : مسلم سفير الحسين عليه السلام .

مسلم سفير الحسين ٩
من هو مسلم بن عقيل ١٠
شبهات في التاريخ ١١
الأولى : ١١
الثانية : مما ينقل في مصادر التاريخ ١٤
الثالثة : ١٥
منزلة عقيل بن أبي طالب عليه السلام ١٩

المقام الثاني : سفارة مسلم المباركة .

رسالة الحسين عليه السلام لأهل الكوفة ٢٥
الأخوة بين الحسين عليه السلام ومسلم ٢٧
وثاقة مسلم ٢٨
حدود الوكالة ٣٠
أسرار التوصية ٣٠
قيمة إجماع أهل الكوفة ٣٣

المقام الثالث :

سفير الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة ٣٧
الطريق إلى الكوفة .. بين التطيّر والإقدام ٤١
ما معنى تطيّر السفير الحسيني ٤١

.....
أهليته للسفارة ٤٣
تأويل ٤٦

المقام الرابع :

سفير الحسين في الكوفة ٤٩
السفير رائدٌ لأهله ٥٢
أخذ البيعة من الكوفيين ٥٣
حركة السلطة الأموية في
تعاملها مع السفير الحسيني ٥٥
الحركة الأموية في الشام ٥٧
ملاحظة .. وتأمل ٥٨
كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد ٥٩
من هو المستهدف ٦٠
التخويلات المرددة ٦١
أضواء على التعبير ٦١
حركة ابن زياد من البصرة إلى الكوفة ٦٣
مشاركة أهل البصرة في مقتل
سفير الحسين عليه السلام ٦٥
مدلول السفر العنيف ٦٦
التنكر بالزي ٦٧
سكوته في وسط الاحتفال الكوفي ٦٨
عبيد الله وقصر الأمارة ٦٩
التفرق الكوفي ٧٠
كلمات ٧١

.....
تغيير مقر السفير ٧٦
الاضطهاد وسيلة الحاكم الأموي ٧٩
خطة الفتك بعبيد الله ابن زياد ٨٠
تأمل .. في امتناع السفير الحسيني ٨١
تعليقات .. ينبغي ملاحظتها ٨٣
التجسس الأموي .. للتعرف على
مكان السفير الحسيني ٩١
انتشار الخبر بطالب البيعة ٩٢
قرائن في كلام معقل ٩٨

المقام الخامس : استدارة الأحداث .

هانيء بن عروة في طريق الشهادة ١٠١
زيارة الوالي في قصر الأمارة ١٠٣
جلوسه على باب داره ١٠٥
مشاركة المبعوثين في المؤامرة ١٠٦
نباهة هانيء ١٠٦
تأمل في الكلام ١٠٧
هانيء في مواجهة ابن زياد ١٠٩
هانيء .. بين الامتناع الديني والعشائري ١١١
تأمل وملاحظة ١١٣

المقام السادس : أحداث الكوفة .

الاشتراك في الخدعة ١١٩
قيام مسلم ١٢١

.....
رايات التخذيل والأمان ١٢٣
استفهامات ١٢٥
أبن زياد .. ينجو ١٣٤
عبيد الله بعد العاصفة ١٣٥

المقام السابع :

مسلم في طريق الشهادة ١٣٩
مسلم في أزقة الكوفة ١٤١
العمالة .. هل كانت في الحسبان ١٤٤
قصة طوعة ... والاعتبار التاريخي ١٤٧
تأمل وملاحظة ١٥٠
الملحمة الهاشمية ١٥٧
خيارات مسلم ١٦٠
على أعتاب قصر الأمارة ١٦٤
طلب الماء ١٦٥
مسلم.. والتسليم ١٦٧
مسلم في مواجهة الحاكم الجائر ١٦٩
السلام على ابن زياد ١٧٢
اختيار حامل الوصية ١٧٤
أداء الدين ١٧٦
الوصية بأخبار الحسين عليه السلام ١٧٩
الوصية بالمواراة ١٨٠

مسك الختام : ١٨٣

الجندي الأموي ١٨٤

.....
المطالبة بالقصاص ١٨٤
ماذا يعني ؟؟ ١٨٥
مقتل هانيء بن عروة ١٨٦
المقتول في محبة ولدك ١٩٠